HARLEQUIN

كبير

1120
١١٢٠

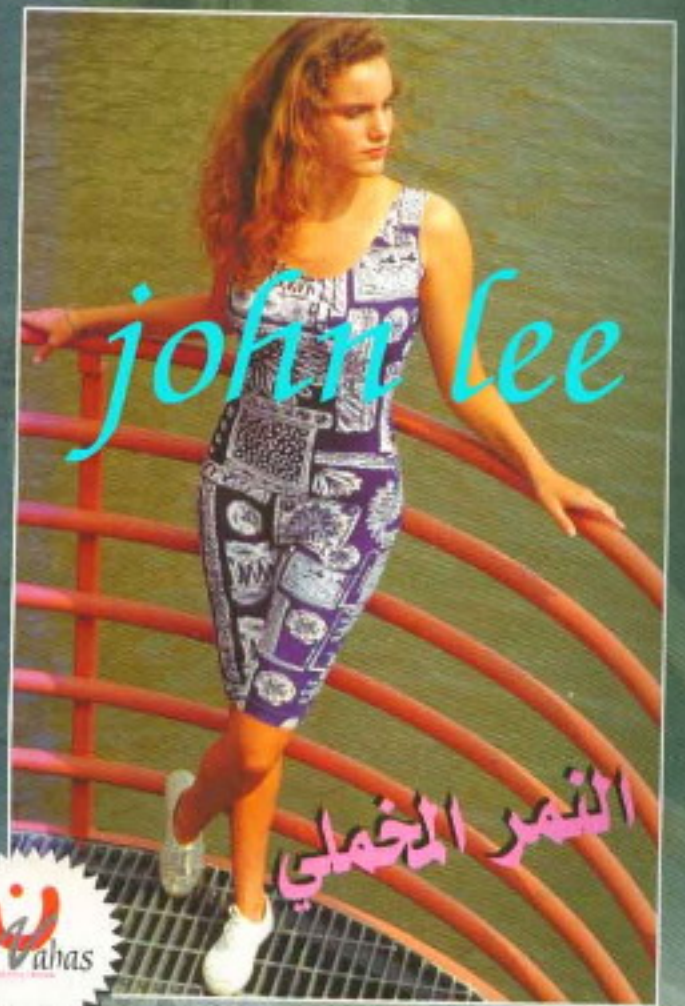

صادر عن دار م. الفحاس

1120
١١٢٠

النمر المخملي

ايما دارسي

النمر المخملي

ايما دارسي

HARLEQUIN

النمر المخملي

ايما دارسي

زواج ام فراق؟

اعطت ليزا جيلمور سنة من عمرها لكين ماريوت وهذا وقت فوق الكفاية لكي يقررا إلى اين الوصول بخطوبتهما هذه.

وثلاث اسابيع دون كلمة من كين، كانت السبب لاتخاذ قرارها الحاسم. وكان كل نهار يمر يقوي من تصميم ليزا على انهاء هذه الخطوبة. وإذا بكين يعود ليعرض الزواج عليها، وكان الزواج هو بالضبط ما كانت ليزا تريده.

ولكن ماذا كان كين يتوقع بالضبط من تبادل عهود الزوجية؟

سوريا: ١٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١٫٥ دينار - لبنان: ٨ دراهم - مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس: ٢ دينار

«لم اقل نعم، بعد يا كين.»

«لماذا لا تقولينها إذن؟»

اخذ قلب ليزا يخفق بتوتر، ولكنها ثبتت على موقفها،

«ثمة الكثير بيننا لم يحسم، وانا افضل ان اقوم بذلك قبل الزواج وليس بعده.»

فتوترت ملامح كين:«كلا، لا تضعيني تحت التجربة. فأنا لن ابقى معلقاً، فإما ان اصلح لك، او لا.»

فقالت:«سأفكر في ذلك.»

«ليس عليك ان تفكري في ذلك، فإما انك تريدين الزواج ام لا تريدين.»

«هذا غير معقول كلياً.»

ولكن كين لم يتزحزح:«قرري امرك، يا ليزا، وفي هذه اللحظة.»

john lee

ايما دارسي

ايما دارسي كانت على وشك ان تصبح ممثلة، الى ان قرر خطيبها انه يفضل حضور المسرح معها، ثم اصبحت زوجة وأماً، فيما بعد تعلمت الرسم بالزيت، ولكنها لم تنجح بذلك، كما قالت، فجربت الهندسة واضعة تصميم منزل الاسرة في نيو ساوث ويلز، وبعد ذلك اخذت تكتب الروايات التي وجدتها كما قالت اصعب واكثر الاعمال التي قمت بها تحدياً.

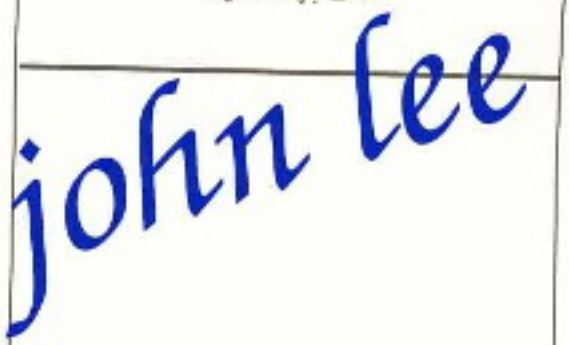

Abir 1120

النمر المخملي

ايما دارسي

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية:
THE VELVET TIGER
Copyright © by Emma Darcy 1992
ISBN 0- 373-11496- 6
Mills & Boon First edition October 1992

الطبعة العربية الاولى عن دار م. النحاس
النمر المخملي بقلم ايما دارسي
ترجمة: بلقيس حوماني
سلسلة عبير ١١٢٠

دار مؤسسة النحاس
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

john lee

الفصل الاول

جاءت المكالمة الهاتفية في الساعة العاشرة والربع من صباح الجمعة، ومضت ثوانٍ قبل ان تستوعب ليزا السعادة التي تملكتها لسماعها صوت كين ومضت عدة ثوان اخرى قبل ان تتذكر انها كانت قد قررت ان تنهي خطوبتها به بشكل ابدي لا رجوع فيه.

لم يكن ذلك لان كين ماريوت كان سيئاً تماماً، على العكس، فقد كانت له صفات كثيرة حسنة، كان ذا جاذبية خطرة نسفت كل القيم التي عاشت ليزا بها قبل ان تعرفه، فمع كين بدا لها كل منطق وتعقل لا صلة له بالواقع، ولكن هذا لم يكن هو لب المشكلة، وإنما هي الطريقة التي كان يعاملها بها.

وأسوأ ما في ذلك هو لا مبالاته بما تفكر فيه او طريقة تفكيرها وبشكل يوحي بالإزدراء تقريباً، وكذلك لطريقة تصرفها وكل ما يعني لها شيئاً، كان يفعل ما يريد حينما يريد، اما ما تريده فلم يكن له اي اعتبار، فإذا لم تتفق افكارها مع افكاره فهناك سوء حظها.

لقد منحت كين ماريوت سنة من عمرها، وهذا اكثر مما يستوجب تقريرهما مصير حبهما هذا، والاسوأ

من ذلك هو ان بقاءها معه قد حرمها من فرصة التعرف الى شخص افضل.

ثلاثة اسابيع من الصمت كانت بمثابة القشة الاخيرة التي قصمت ظهر البعير، كما يقال، ثلاثة اسابيع طويلة بطيئة مملة مرت من دون ان يفكر كين فيها او يرغب في قضاء عدة دقائق في حديث شخصي معها، وهذا عيّن ما هو موقعها من نفسه وفي حياته.

كل يوم كان يمر من دون كلمة من كين، كان يثبت من عزمها على انهاء علاقتها به، حتى الآن عندما تذكر وجودها، إذا به يتصل بها في أوقات العمل والذي يمنع الحديث بينهما على المستوى الشخصي. وهذا لا يعني ان كين كان من عادته ان ينغمس في احاديث شخصية طويلة، وإذا كان سيحدث مثل هذا، فإن ليزا تعلم جيداً انه لن يكون في الهاتف.

ورغم هذا كله فمجرد سماعها صوته هز من قرارها هذا، فكل المنطق الذي في العالم لم يستطع ان يلغي حقيقة ان كين قد جعلها تشعر بنفسها وانها انسانة غير عادية كما لم يفعل ذلك احد من قبل، وبينما كان ذهنها يتخبط بين الاسباب التي تجعلها تطلب منه ان يغرب عن وجهها، إذا بكل عصب في جسمها يرتجف، منتظراً ان تراه مرة اخرى.

وكان هو يقول:«اعتقد ان كل شيء سينتهي هنا عصر

هذا اليوم، يا ليزا.» وكان التعب يبدو في صوته، ثم تابع يقول:«ان بإمكاننا ان نمضي طوال العطلة الاسبوعية معاً انني غير واثق بعد من موعد الطائرة التي سأستقلها من ملبورن، ولهذا اظن من الافضل ان اراك بعد وصولي.»

وفكرت ليزا متهكمة ان هذا بطبيعة الحال، سيوفر الوقت بالنسبة اليه، لما يريده منها، اما ما تريده هي فهذا غير موضوع في حسابه.

كان لدى كين الاولوية الحقيقية لشيء واحد في حياته، هو نجاح شركته الهندسية، ولا شيء غير ذلك يشكل حافزاً في حياته، كما ان لا شيء يردعه او يقف في طريقه في توجهه الى هذا الهدف وهكذا كانت ليزا ترى وبوضوح تام، اين موقعها هي من اهتماماته في الحياة.

وكانت ازمة نشبت في بناء كان يشيده في فيكتوريا قد دعته الى الذهاب، ولا شك ان ضرورة اخرى من ضرورات العمل يمكنه بها ان يفكر في ليزا. ذلك ان وظيفة المرأة وأهميتها الوحيدة عنده، هي في توفير الراحة والطعام له من عناء العمل وضغطه، والآن وهو يعود الى سيدني، يتفقد ليزا بهذا الهاتف ليضمن ذلك هذه الليلة.

لم يدخل هذا الشعور البهجة الى نفسها، وإنما العكس،

لقد اخمد الحرارة التي اندفعت في شرايينها لمجرد سماعها صوته، ذلك ان كين ماريوت لا يستحق كل هذه اللهفة منها، كما غضبت لهذه المشاعر التي اثارها في نفسها واحتقرتها، كيف يمكن ان يكون له مثل هذا التأثير على نفسها بينما تعلم تماماً انه لا يهتم بها؟

قالت له:«هل خطر في بالك مرة ان تطلب مني مثل هذا الامر بكل لطف؟»

ساد الصمت في الناحية الاخرى من الخط. وتصورته ليزا يصرف بأسنانه انزعاجاً وفروغ صبر ولكنها لم تهتم.

واخيراً قال بجفاء:

«ولكنني طلبت منك ذلك بلطف.»

«كلا، انك لم تفعل.»

فتنهد بضجر:«حسناً، فلنبدأ مرة اخرى.» كان صوته اكثر تعباً الآن وان خالطه شيء من الضيق.

«انني اطلب منك بلطف ان تقابليني بعد رحلة الطائرة في البيت.»

اجابت بإيجاز:«كلا، لن اقابلك هناك، يا كين.»

فسألها بحدة:«لماذا لا؟»

«لانني مشغولة.»

كان الصمت الذي تلا هذا مرة اخرى في الطرف من

الخط، كان اطول هذه المرة وتساءلت عما إذا كان صمته نتيجة صدمة، او لهفة.

وإذا به يسألها وقد ساور صوته شك عنيف:«مشغولة مع من؟»

فتملكها الغضب، ان كين طبعاً، لن يحمل نفسه اي ذنب وتساءلت عما إذا كان لشكوكه هذه اصل في سلوكه هو، إذ عندما يكون في رحلة عمل، هل هناك شخص ما يشغله عنها؟ وهل هذا هو السبب في انه لا يتصل بها هاتفياً على الاطلاق، ما عدا عندما يبلغها بموعد حضوره من السفر ولم تكن ليزا واثقة على الاطلاق من انها الوحيدة في حياة كين.

قالت وكرامتها المجروحة تغذي شكوكها المدمرة هذه:

«ربما.» وحدثت نفسها بأن هذه بداية النهاية، سمعته يشتم بصوت خافت، ثم ينفجر قائلاً:«اية لعبة تقومين بها، يا ليزا؟ حذار من الدلال، فليس لي صبر عليه.»

قالت بمرارة:«كلا، فأنا واثقة من عدم صبرك، يا كين، ولكن حان الوقت الذي لن ينفع فيه منك اي مجاملات او لطف.»

فقال غاضباً:«ليس لدي وقت لمثل هذا الهراء، ومهما تكن اللعبة التي تفكرين فيها، اريدك ان تصرفيها

من ذهنك، فإذا لم تكوني تريدين ان تلاقيني، فقط قولي لي ذلك، يا ليزا.»

هكذا إذن وانقبض قلبها، لقد دنت اللحظة الفاصلة، فمن ناحيته لم يكن هناك نقاش، ولا اعتذار ولا (امنحيني فرصة اخرى وستريننني شخصاً مختلفاً، يا ليزا) مثلاً فمثل هذه الكلمات لا يمكن ان تنطلق ابداً من كين، ذلك ان ليس لديه سوى هذه المعادلة (قولي هل تريدينني ام لا؟)

ما عدا انها كانت تريد من كين ماريوت اكثر بكثير مما كان مستعداً ان يعطيه.

وفكرت بمرارة في ما قاله عن لعبة تقوم بها، انه هو الذي يضع القوانين، وهو المرجع في كل امر، وهو الذي يطلق صفارة الابتداء، ولم يكن هناك مراجعة لأي قرار يتخذه، كيف استطاعت ان ترتبط بشخص مثله، وهو الذي لا يهتم بشعورها مقدار ذرة؟

«انها ليست لعبة، يا كين، انني اسميها النهاية، ان خطوبتنا انتهت.»

لقد نطقت بهذه الكلمات، اخيراً ولم تكن تنوي ان تقولها الآن، وفي هذا المكان، لقد تدفقت الكلمات تحت ضغط المشاعر، كانت نهاية ارتجالية بدت خطأ بالغاً للغاية ومع انها كانت قررت انهاء خطوبتهما، فقد كانت تنوي ان ترى

كين مرة اخرى لكي تخبره بذلك وجهاً لوجه.

قال لها بلهجة خلت الآن من الخشونة، وحل مكانها عدم الفهم:«ليزا؟ لا اظنك جادة في كلامك.»

ما الفائدة من إلغاء ما لا بد منه؟ وشعرت بالرضى، ان عليها ان تقوم بذلك، وقالت ببلادة:«بل انا جادة في كلامي.»

تلا ذلك شيء من التردد منه، ثم لم يلبث ان قال بحدة:«لا يمكنك ان تعني ذلك حقاً.»

قالت بحزم:«أنا آسفة، ولكنني اعنيه حقاً.»

كانت آسفة فعلاً، آسفة ومن كل قلبها وهي تشعر بفراغ هائل يدخل في حياتها، وتساءلت عما تراها فعلت، وأخذت تكرر وقد داخل الشك قرارها:«أنا آسفة.»

فقال بمرارة:«انت آسفة! هذا رائع، لقد كنت احرق اعصابي يوماً بعد يوم بينما انت... »لم يتابع حديثه بل اقفل الخط في وجهها ورأت في الصوت المكتوم الذي صدر عن وضع السماعة مكانها، ما يماثل آخر خفقة لقلب يموت، ان عقلها يقول انها قامت بالعمل الصواب، ولكن ما تقوله مشاعرها يخالف ذلك تماماً، وضعت سماعة الهاتف مكانها ثم اخذت تنظر الى يديها، كانت اصابعها ترتجف تبعاً لافكارها المضطربة.

كان تصرف كين طبيعياً وحسب المتعارف عليه، فهو قد اقفل الخط غاضباً لقرارها المفاجيء غير المتوقع هذا، ولكن الشعور بالخسارة والذي سرى في كيانها كان لا يحتمل.

كانت تحبه، وتريد متابعة حياتها معه، ولكن حبها ورغبتها بذلك قد صدمهما معاملته تلك لها، انها ليست لعبة بين يديه، يتناولها متى شاء، ويلقي بها جانباً حين يريد، ولكنها إنسانة والطريقة التي اخذ يعاملها بها كانت تنقص من احترامها لنفسها،ان عليها ان تنهي كل هذا.

ولكن ليس بهذه الطريقة، ليس بمثل هذا الشعور الرهيب بالاكتئاب، لم تستطع حتى ان تبكي، فقد عصي دمعها... ربما هي الصدمة، وشعرت بالخدر يغزو جسمها، وانعدام الحياة وكأنما لم يبق هناك ما تتطلع إليه.

نظرت حولها الى مكتبها الفسيح البديع التأثيث، كانت وظيفتها بالغة الإعتبار، فهي سكرتيرة مدير الفرع الاوسترالي «الشركة الدولية المختلطة» وكان راتبها ممتازاً، كما كانت تقابل اناساً ذو نفوذ وعلى غاية من الاهمية، ولكن هذا كله لم يكن يهمها بشيء.

وازداد الشعور بالفراغ في نفسها اتساعاً وظلاماً،

واخذت تناجي نفسها، (انها حالة يأس، ولكنني سأتغلب عليها في النهاية فأنا مازلت في الرابعة والعشرين من عمري، وكل ما علي عمله هو ان امحو من حياتي هذه السنة التي امضيتها مع كين ماريوت، وابدأ حياتي مرة اخرى، ويوماً ما، سيأتي رجل ما، رجل مختلف جداً عن كين، رجل يقدرني كانسان وليس كأنني خلقت للإستجابة لطلباته واوامره.)

«هل كل شيء جاهز لاجتماع مجلس الإدارة عصر هذا اليوم يا ليزا؟»

جعلها هذا السؤال المفاجيء تقفز من مكانها، ورفعت نظرها الى رئيسها الذي كان يسد الباب الذي يصل بين مكتبيهما بجسمه الضخم، فقد كان جاك كونواي قوياً في كل شيء مع ان عمره يناهز الستين سنة، فهو رجل كالثور لا يتردد في سحق اي موظف عديم الكفاءة، وهو لم يصل الى منصب المديرية هذا باستعمال التساهل إزاء اولئك الذين لا يشعرون بمسؤولياتهم.

اجابت بإيجاز:«نعم سيدي.» وكانت قد اعدت كل ما يلزم لهذا الاجتماع.

اومأ راضياً، وابتسم.

منحت رئيسها ابتسامة صغيرة ملتوية، في بداية

التحاقها بالعمل معه، كانت تشعر بالارتباك البالغ إزاء طريقته في تسوية الاعمال وقال لها:«أنت بالنسبة إليّ موظفة متميزة وأنا احب ان يكون لدي موظفون مميزين وكفوئين.»

لقد اثبتت السنتان اللتان مرتا بها موظفة تحت إمرته صدق كلامه ذاك، فقد كان جاك كونواي يراها بمثابة تحفة نادرة.

كان متملكاً لها بشكل غريب، ولكن ليس بالمعنى الابوي، وإنما كان اقرب الى بسط النفوذ، فقد كانت امتداداً له، وكان مركزها كما يسميه يرمز الى مكانته.

فقالت:«اشكرك، يا سيدي.»

ارتسمت على شفتيه ابتسامة وهو يستدير عائداً الى مكتبه.

وتذكرت بسخرية كين ماريوت. وتذكرت بوضوح اجتماعها الاول به،حين احست بعينين تنظران اليها، لقد رفعت نظرها عن عملها على مكتبها فرأته واقفاً عند العتبة جامداً من دون حراك،ثم وببطء متناه، ابتسم لها.

هي التي كان وجوده يلهيها ويصرف ذهنها عن عملها وذلك اثناء اجتماعاته فيما بعد مع جاك كونواي، ولم يكن ذهن كين يتحول لحظة واحدة عن

العمل الذي كان موضع النقاش ورغم انها كانت تجلس اثناء الاجتماع تسجل الملاحظات، لم يحدث مرة انه نظر ناحيتها او ابدى اي انتباه لوجودها، فقد كان تركيزه على ما كان يريد إنجازه تاماً الى ان يفوز بالموافقة على العقد الذي كان يسعى للحصول عليه، عند ذلك فقط، كان يدير اهتمامه الى ليزا، وكانت عيناه قد ادركتا انها اصبحت رهن ارادته، ولقد حدث ذلك بكل تلك السهولة والبساطة.

لقد كانت غزوة سهلة بالنسبة اليه، اما الغريب في الامر فهو انه لم يحدث لها قط من قبل ان كان لها ارتباط من قبل، وما كانت ستصدق ان هذا سيحدث لها يوماً ما لو ان شخصاً كان قال لها ذلك قبل عام. ولكن مع كين اصبح الامر مختلفاً تماماً، فالحذر منه لم يخطر لها ببال وجاذبيته هدمت كل الحواجز.

فلا عجب ان يأخذ موافقتها على الخطوبة امراً مسلماً به، فهي لم ترفض له طلباً قط، كان عليه فقط ان ينظر اليها بتلك العينين المسيطرتين حتى تفقد كل ما تتحلى به من اتزان.

اما فرصتها الوحيدة للتخلص من سيطرته تلك فقد كانت في الابتعاد عنه، وهكذا ربما كان من الافضل ان تنهي الامر في الهاتف بدلاً من ان تتعذب برؤيته، ولكن كان عدم رؤيته مرة اخرى بمثابة خنجر

يمزق قلبها، لماذا لم يحبها بقدر ما احبته؟ لماذا...؟
ورن الهاتف مرة اخرى فمدت يدها الى السماعة بحكم العادة وهي تحاول جاهدة تمالك هدوئها ونبرات صوتها السارة: «هنا الشركة الدولية المختلطة. ليزا جيلمور تتكلم، هل يمكنني مساعدتك؟»
«انا كين.»
«آه...»
وجف حلقها في الحال، ما منعها من النطق بكلمات اخرى، هاجمتها الشكوك، اترى كين يحاول العودة اليها؟ وهل هو يحاول إلغاء نبذها الماضي له؟
«ارجوك لا تقفلي الهاتف.» كان هذا امراً ولكنه على الاقل منحها شرف قوله لها ارجوك.
تراوحت افكارها بين الرجاء والتشكك المر، فابتلعت الغصة بصعوبة ثم قالت:«انك انت الذي فعلت ذلك لتوك يا كين.»
«آسف، لقد كنت... متهوراً.» وكان هذا تعبيراً ملطفاً لمزاج احمق، وعلى كل حال فالإعتذار من كين كان من الندرة بحيث اخمد غضب ليزا.
فقالت له:«وهل هذه المخابرة منك ناتجة عن التهور؟ لانه اذا كان كذلك...»
«كلا، فأنا اريد التحدث اليك.»
«بأي شأن؟»

«لقد كنت انت ايضاً متهورة.»
«كلا، لم اكن كذلك.»
«ماذا تسمين نسف خطوبة استمرت سنة كاملة، بواسطة الهاتف؟ هو تهور يا ليزا؟»
أبت عليها كرامتها ان تظهر اي ضعف او رقة رغم انه كان يمنحها مجالاً لتغيير رأيها وقبول العودة إليه، كانت تريده من كل قلبها، ولكن ليس بذلك الشكل الذي سارت به علاقتهما.
«نسميها مودة متقطعة حيث انك تقوم بكل اتصالاتك في فترة الاستراحة، وذلك بطريقتك الانانية التي لا تطاق، لا اريد مثل هذه المعاملة، يا كين وانا لن ادعك تعاملني بهذا الشكل.»
فقال ساخراً:«باختصار، فأنا لم اكن لطيفاً معك بما يكفي.»
تصاعد غضب ليزا:«اذا شئت ان تفهم الامر بهذا الشكل...»
فقال بسرعة:«كلا، ولا تقفلي الهاتف، دعينا نتقابل هذه العطلة الاسبوعية لكي نتحدث في هذا الامر.»
كانت تعلم بالدقة اي نوع من الحديث سيجري بينهما، فقالت بمرارة:«انك لا تريد ان تستمع إلي، يا كين.»
فقال يقنعها برقة:«امنحي هذه المسألة شيئاً من

الصبر، يا ليزا، حاولي على الاقل المصالحة.»

«لماذا؟»

«لاننا متفقان معاً.»

لم تستطع انكار ذلك. وابتدأ الشوق لرؤيته مرة اخرى يمتلكها، اترى ستتعرف بعده الى شخص رائع مثله؟

«اظننا امضينا وقتاً كافياً معاً.»

«امنحي خطوبتنا فرصة اخرى، عدة ايام فقط، يا ليزا فقط للتأكد.»

فترددت، ما اهمية عدة ايام اخرى؟ واضاف هو قائلاً:

«قابليني في البيت فلدي مفاجأة لك.» قال ذلك بسرعة بعد ان لاحظ ترددها.

سألته بارتياب:

«ما هي تلك المفاجأة؟»

ضحك برقة:«اذا انا اخبرتك فلن تعود مفاجأة.»

نبهتها ضحكته تلك، فقد رأت فيها ان كين يظن انه اعادها الى قبضته مرة اخرى، وانها عادت رهن ارادته، فقالت:«كلا.» انها لا تريد ان تنخدع بألاعيبه.

وبرقة زائدة كانت ليزا تعلم انها زائفة، اذ كانت تعلم ان كين خالٍ من كل رقة، قال:«كيف استطيع تغيير رأيك؟»

لم يتملكها سوى إعجاب بمقدرته على متابعة الإلحاح حتى الفوز بما يريد.

فأجابت بعناد، وقد ساءتها هذه الطريقة اللبقة التي يغير بها اتجاه الامور لكي تناسب مصلحته، وان كان الآن يقوم بمسعى لمصلحتها، اجابت تقول:«لا شيء.»

فقال:«باستثناء..هناك دوماً استثناء فكوني حنونة، ورقيقة يا ليزا، واخبريني ما هو الاستثناء،فأنا لا استطيع تصور بقية حياتي من دونك.»

ان ليزا لم تنخدع، فهو لا شك يعني قضاء العطلة الاسبوعية من دونها، ان كين ماريوت ليس بحاجة اليها... ليس اليها شخصياً. فهو ليس بحاجة الى اي شخص، كين هو رجل ذو اكتفاء ذاتي، عصامي لا يستجيب لاحد، وربما كانت هذه الميزة فيه هي سر جاذبيته، وشعاره هو «انني اقدم على اي شيء وغالباً ما افوز بما اريد، لا شيء اخسره وافوز بكل شيء» هذا هو كين ماريوت، فهي تعرفه جيداً وجيداً جداً، فهو لن يتغير لاجلها، لارتباط يدوم مدى الحياة، تحتاج ليزا الى حب من غير النوع الذي يقدمه اليها كين، ولكن بالنسبة لعدة ايام فقط..

كانت ترى ان من الضعف الإذعان لما يقوله حين لن يغير هذا من الامر شيئاً بينهما، فهو لا يحبها ولم

يحبها قط ولكنها ستراه مرة اخرى فقط... مرة تودعه فيها وتختزن في ذهنها، ما امكنها من الذكريات عنه. الحسن والرديء. ومن ثم تودعه الى الابد.

قالت له:«سأقابلك في المطار.»

«ليزا، انني لا اعرف اي طائرة سأستقل.»

فأصرت قائلة:«اتصل بي هاتفياً واخبرني.» لم تكن تريده ان يحصل على كل ما يريد وخاصة في آخر عطلة اسبوعية يمضيانها معاً.

«لا بأس، سأكون على طائرة الساعة السادسة.»

«ظننتك قلت انك لم تعرف بعد اي طائرة ستستقل.»

«لقد قررت لتوي.»

فقالت بلهجة لاذعة:«ما اجمل هذا، وشكراً لتذكيري اي وغد انت عندما تريد ان تحصل على ما تريد.»

فقال بلهجة جافة:«ان اللطف والرقة لا يغيران بشيء.»

«انني استوعبت الدرس، يا كين. ويوماً ما ستأسف على ذلك.»

قالت ذلك بحدة ثم اقفلت الخط.

john lee

الفصل الثاني

اخذت ليزا تجاهد في سبيل التخلص من التوتر الذي تملك اعصابها. لقد تأخرت ولم يكن ذنبها ان طال اجتماع المديرين عن المعتاد فلم ينفضّ قبل الخامسة، ثم هناك حركة السير المزدحمة.

العمل بالنسبة الى كين كان يأتي في المقدمة على الدوام. بهذا اخذت ليزا تحدث نفسها. فكم من المرات تركها تنتظر الى ان ينتهي مما كان يقوم به. لقد تركها تنتظر ثلاثة اسابيع بطولها فلتدعه يتذوق شيئاً من دوائه إذن.

وإذا هو انتقدها لتأخرها عن القدوم لاستقباله في المطار، فهي... وصدرت عنها ضحكة خشنة بعد ان ادركت انها لن تفعل شيئاً. لقد كان السبب في توترها هذا، هو انها لم تكن تعتقد بأن كين ماريوت سينتظرها. فهو حالما يدرك انها ليست في انتظاره... كلا، ان كين ماريوت لن ينتظرها.

كان كل شيء منحازاً لجانب واحد. فمهما فعل كين فهو الصواب على الدوام. فإذا هي تجاوزت الحد مليمتراً واحداً، فهي مخطئة مهما كان السبب في تجاوزها ذاك. وتملك الغضب ليزا من الضعف منها

ان تستمر في ذلك وعليها ان تواجه كين بجرأة فتستدير بسيارتها ومن ثم تذهب الى بيتها.

اتجهت عيناها الى الساعة امامها، مرة اخرى كانت السادسة والدقيقة الثانية والعشرين. وتحركت اصابعها على عجلة القيادة بقلق وهي تنتظر فتح اشارة المرور. ان حركة السير مزدحمة دوماً مساء الجمعة وهذا يعني انها لن تصل الى المطار قبل عشرين دقيقة اخرى.

كان من الغباء متابعة طريقها. ولكنها كانت قالت انها ستقابله في المطار ولهذا عليها ان تتابع حتى ولو لم يكن هو هناك.

وإذا هو لم يكن هناك، فهذا يكفي وهي لن تلحق به إلى البيت ابداً. انها لن تمنح كين ذلك الشعور بالرضى مرة اخرى. فإذا كان يريد العطلة الاسبوعية الاخيرة معها لكي يجري المصالحة فالافضل ان يكون في انتظارها في المطار مهما تأخرت. وبعد، ان عذرها معها في هذا التأخير.

وسيكون في هذا امتحان لاخلاصه. وابتسمت ساخرة او ربما هو امتحان لمبلغ رغبته في مصالحتها. فبعد ثلاثة اسابيع لا بد انه سيكون في غاية من الارهاق والتعب المتواصل.

اخذت تفكر في ايامهما الماضية معاً، وقد

استغرق إزالة الغشاء عن عينيها زمناً طويلاً.

من الافضل لها ان تسير في حياتها من دونه.

ما الذي كان قال:«حلوتي، الرقيقة ليزا.»

حسناً، لم يعد هناك بعد الان، كين العزيز القاسي.

اضاءت اشارة السير الخضراء.

جالت عيناها بحدة وانفعال بين الجموع، وكان المطار يموج بالمسافرين ما بين منتظر الرحيل او واصل لتوه لقضاء عطلة نهاية الاسبوع. فإذا كان كين يراقب المدخل، من المحتمل جداً ان يراها لحظة دخولها وهكذا وقفت جامدة في مكانها راجية ان يراها. ولكنها رأته قبل ان يراها.

وكالعادة قفز قلبها لرؤيته ثم اخذ في الخفقان بسرعة بالغة، ولم يعد يهمها كم في حبها له من غباء وتدمير للنفس، انها تحبه ولمجرد النظر إليه سرى في كيانها الدفء.

تقدم كين ماريوت بين الجموع، فلفت انظار من حوله. نظر اليه العابرون، وقد جذبتهم شخصيته المتميزة بشيء لا يدرك كنهه.

النمر المخملي... التصقت هاتان الكلمتان في ذهنها من فيلم سينمائي كانت شاهدته وكان هذا وصفاً صحيحاً لكين ماريوت.

رأت رأسه يلتفت متفحصاً ذلك الجمع. ويبحث عنها

وعندما لمحها بدت الحدة والعنف في نظراته مبدداً منها اللامبالاة وكادت ترى وكأن سلكاً كهربائياً سرى في كيانه رافعاً غضبه الى اقصى حدود.

تملكتها مشاعر الثورة والتمرد. إذا كان سيعنف لتأخرها وتركه ينتظر فستستدير وتخرج من هذه القاعة. توترت ملامحه موشكاً على العبوس للحظة، ما لبثت بعدها ان استرخت ولكنه لم يبتسم.

وجدت نفسها من الارتباك بحيث لم تستطع الابتسام له ايضاً، وإنما اخذت تنظر اليه وقد اخذ قلبها بالانقباض. لم تعد ترى احداً من تلك الجموع التي كانت بينهما وحولها وساورها حس يتعذر فهمه بأنها كانت ومازالت وستظل تنتمي الى هذا الرجل، قد تسلخ نفسها عنه ولكنها لن تنساه ابداً. ذلك ان جزءاً منها سيبقى ملكه على الدوام فقط سيطر على افكارها منذ البداية ولن يفلح البعاد ولا الزمن ولا اي قرار منها في ان يغيّر ذلك. لقد كان يخطىء في حقها، ولكنه بشكل ما كان يصلح لها.

حمل كين حقائبه واتجه نحوها وعيناه في عينيها طوال الطريق تأمرانها بالبقاء حيث هي.

لم تتحرك، فقد تلاشت عزيمتها ووهنت قواها إزاء طريقة نظرته اليها.

وضع حقائبه على الارض وتقدم منها يحييها

كالعادة وكأن لم يحدث بينهما شيء، وكأنها لم تتأخر الى حد غير معقول... وكأنه يحبها حقاً ولا يريد سواها... وكأن من المؤكد انها خطيبته هو وله كل الحق عليها.

رأت نظراته والتي كانت تنصبّ في نظراتها تضطرم فيها تساؤلات من دون اثر من حب. لم يكن يحب الانتظار على الاطلاق.

ولكن كرامتها الغاضبة لم تلن. انه لن يجدها سهلة بعد الآن. لن يأخذ منها شيئاً من دون عطاء منه بالمقابل. كانت تريد ان تشعر بأنها محبوبة.

«لقد تأخرت.» قال ذلك وكأن شيئاً في داخله كان يخشى الا تحضر على الاطلاق.

فأجابت شاعرة باللهفة الى ان تشعر بأنها مهمة في حياته، وانه يريدها طوال حياته اجابت تقول:«لم اكن اظن انك مازلت بانتظاري.»

فقال بشيء من الخشونة:«ولكنني انتظرتك.»

قالت والاسئلة تعذب نفسها عما إذا كان يهتم بها حقاً كما هي تهتم به. قالت تجيبه:«لقد اخرني اجتماع المديرين.»

فقطب حاجبيه:«وماذا كانوا يقررون؟» سألها ذلك بلهجة بات فيها السأم.

وكانت ليزا تعرف تلك اللهجة فقد كان كين يستعملها

للتمويه عندما يكون هناك ما يثير اهتمامه. تماماً كذلك الاجتماع الذي كان عقده مع الشركة الدولية المختلطة عندما كانت القرارات التي يبحث في امرها اكثر اهمية منها هي طبعاً، وشعرت بغيرة مرة سمّمت آمالها التي كانت هي قد سمحت لها بأن تعود الى نفسها وقلبها.

وقالت له متهربة:

«اشياء مختلفة.»

استحال تقطيب حاجبيه الى قسوة في ملامحه حتى اوشكت ان ترى القرار يتشكل في ذهنه وهو انه سيعرف ذلك فيما بعد. بعد ان ينتهي من ليزا. وقد يكون تصميمه على معرفة ما جرى في ذلك الاجتماع اقوى من تصميمه على استعادتها هي اليه.

قال بنظرة ماكرة:«ان المكان مزدحم جداً بالناس، هيا فلنذهب في طريقنا، فأنا بحاجة الى طعام وشراب وايضاً بحاجةللتكلم معك. ثم إنني اريد ان اعلم ما هي الامور الهامة التي بحثت في ذلك الاجتماع الذي جعلني انتظر ساعة.»

تجاهلت إشارته تلك الى الطعام والشراب ، كما تجاهلت إشارته الى المعلومات التي يريدها لعمله الغالي.

قالت وعيناها تفيضان بتمرد مرّ:«لقد ساءك ان جعلتك تنتظر، اليس كذلك؟»

اجاب من دون ان يحاول التخفيف من استيائه، ذلك ان التساهل لم يكن من طباع كين ماريوت قال:«نعم، لقد ساءني.»

«ولكن ليس لديك مانع في جعلي انتظر.»

فقال بكل الغطرسة التي اصبحت تكرهها:«إنك تعلمين ان هذا شيء مختلف.»

فقالت بغضب:

«كلا هذا غير صحيح.»

توترت ملامحه، وبدا التحذير في عينيه وهو يسألها بلهجة ناعمة خطرة:«هل هذه هي طريقتك في العودة إلي، ليزا؟»

فقالت متحدية:«وما الذي يجعلني اقوم بذلك؟ مادمت لا تقترف اي خطأ؟»

فاشتد التحذير في عينيه:«إنك تجعلين المصالحة بيننا صعبة قدر الامكان.»

«وكيف؟ كل ما اطلبه منك هو ان تكون عقلانياً.»

«ولكنني كذلك، فأنا دوماً عقلاني وهذا هو السبب في وصولي الى مركزي هذا.»

«لم يكن لي حيلة في تأخري هذا.»

«كان يمكنك ان تتصلي هاتفياً بالمطار وتتركي

خبراً. ثم تقابلينني في البيت. لقد تعمدت تركي انتظر هنا، يا ليزا.»

لم يكن قد خطر ببالها الاتصال بالمطار. ففي اعماقها لم تكن تعتقد انه سينتظر. ولكنها لم تشأ ان تعترف له بهذا، فقالت:«انك جعلتني انتظر ثلاثة اسابيع من دون ان تفكر في ان تخبرني الى متى ستتأخر.»

فتوتر فكه:«انا نفسي لم اكن اعلم كم سأتأخر ثم ان لا وقت عندي للناس الذين يصعبون الامور لمجرد الرغبة في ذلك. فإذا كانت هذه طريقتك في الوصول الى التفاهم...»

قاطعته بحدة:«إذا كان هذا هو حكمك عليّ، فأنا لا ارى اي مجال للتفاهم بيننا.»

بدا في عينيه نفاد الصبر:«ليزا، قرري امرك الآن، هل تريدينني في حياتك ام لا؟ فإذا لم تكوني تريدينني...»

وأشار الى الباب الذي اقبلت منه:«فهناك باب الخروج من المحطة ومن حياتي.»

هتفت بها كبرياؤها في ان تذهب الآن، ان تتحداه وتخرج ولكن مشاعرها وسيطرة شخصيته الطاغية عليها قيدا حريتها، وحام في ذهنها الفراغ الذي سيملأ حياتها طالباً إليها بأن لا تستعجل. لقد كان كين شديد الضيق من هذا الانتظار ولكنه انتظر فعلاً،

رغم انها لم تتصل هاتفياً، كما كان ينبغي كما كانت هي نفسها شديدة التوتر مما كان يغلي داخلها من مشاعر. وتنفست بعمق تهدىء من نفسها قبل ان تقول:«إنني مستعدة للتجربة اثناء هذه العطلة الاسبوعية الاخيرة ثم ارى بعد ذلك. وسأقرر امري مساء الاحد.»

فقال بحدة:«وهذا ما سأفعله انا.»

«ماذا يعني هذا؟»

فلم يجب وتنفس بعمق ثم نفث نفساً حاراً وكأنه يكبت الكثير من المشاعر. وعبرت وجهه لمحة من الالم قبل ان تكسوه ملامح متحجرة لا تكشف شيئاً عما يخفيه من افكار ومشاعر. ثم توقف وانحنى يلتقط حزمة ملفوفة بالورق كانت سقطت بجانب حقيبته، ثم دسها في يدها وذلك بحركة غاضبة عنيفة.

فكت الحزمة وقد تملكتها الحيرة، كانت باقة غير منتظمة من ازهار البنفسج. فضحكت وقد تملكها الارتباك لهذه الهدية والطريقة التي قدمها بها اليها. ثم قالت وهي تهز رأسها:

«يا لك من رجل، يا كين. هل هذه هي المفاجأة التي وعدتني بها؟»

فنظر اليها باستياء، ثم قال عابساً:

«انها جزء منها. إنني لم افعل ذلك قط من قبل.»

قالت وهي تنظر اليه بعجب، باحثة عن معنى ذلك:«كلا، انك لم تفعل هذا قط.»

لم يحدث ان قدم إليها اشياء شخصية... لا شيء خاصاً بها. لقد اعتاد ان يدعوها الى العشاء، المعارض، المسارح من دون اي اهتمام بما ينفقه من نقود على الترفيه والنزهات التي يتشاركانها. ولكن اللفتات الشاعرية كالازهار والهدايا الصغيرة الاخرى لم تشكل اي جزء من علاقتهما فمثل هذه الامور ليست من طبيعة كين.

لم يسبق ان حدث ذلك من قبل...

فلماذا يحدث الآن؟

هل هذه الازهار يقصد بها مراضاتها بعد تلك المكالمة الهاتفية الغاضبة هذا الصباح؟ ان ازهار البنفسج هي اختيار خاص جداً، وكأنه يفكر في انها هي ليزا شخص خاص مميز بالنسبة إليه وليست مجرد فتاة صديقة.

قالت له برقة:«شكراً يا كين.»

فانبسطت اساريره المتوترة بابتسامة ساخراً من نفسه وهو يقول:«ان اي رجل يمكنه ان يكون احمق احياناً.»

فقالت تلومه:«ان تقديم زهور الى المرأة ليس مما

يناقض شخصية الرجل.» لقد ادركت الآن السبب الذي جعله يلف الازهار في ورقة. فمثل هذا التنازل منه هو ضد طبيعته. فهو يعني بالنسبة اليه، رمزاً للضعف وتعبيراً عن مشاعر نحوها ربما هي اكثر عمقاً من الطبيعة.

قال لها ببطء وهو ينحني ليحمل حقائب مجدداً:«لا تظني انها ستصبح عادة.»

حدثت ليزا نفسها بأن من الجنون ان تضخم من شيء كهذا ولكن عندما توجها نحو سيارتها، لم تستطع ان تمنع نفسها من ان يتزايد شعورها بالبهجة لهذه الازهار، فبدأت تمرر اصابعها عليها تلامسها برقة ثم ترفعها الى انفها تتشممها مرة بعد مرة. لو ان كين اراد ان يصالحها، لما اختار طريقة احسن من هذه.

أتراه يعلم ذلك؟

وهل تعمّد هذا الامر؟

ذلك انه لم يفعل هذا ابداً من قبل.

ولكن لم يحدث من قبل ان ابدت مثل هذا التمرد.

وذكرت نفسها بأن لطفه هذا لن يفيد.

والقت عليه نظرة متفحصة وهو يسير بقربها وقد بدا على ملامحه التفكير العميق. ثم قررت انه لم يتعمد ذلك.

وابتسمت. لقد احرزت نصراً وان يكن صغيراً الا انه نصر على كل حال وهذا موضوع تساؤل وشك ولكن امامها العطلة الاسبوعية يمكنها فيها ان تعرف السبب. وقررت ان تعرف اثناء هذه العطلة كثيراً من الاسباب. وربما كان بإمكانها ان تدوّن ما هو خطأ، او على الاقل ما يكفي منها لتحسين علاقتهما.

لا بد ان يومين هما كافيان جداً لمعرفة ما إذا كان هناك حقاً مجال للمصالحة.

فكرت ليزا في تضارب الآراء والافكار التي سيواجهانها والتي عليهما ان يجدا لها حلاً. ويا لها من عطلة سيمضيانها.

john lee

الفصل الثالث

وصلا الى السيارة فناولته ليزا مفاتيحها ليفتح صندوق السيارة لكي يضع حقائبه.

القى بالحقائب في الصندوق ثم اغلقه وهو يقول: «سأقود انا السيارة.» ثم اتجه نحو الباب الآخر ليفتحه لها.

قالت له وقد ساءتها وقاحته:«انها سيارتي.»

فوقف ونظر إليها ساخراً:«إن بإمكاني ان اسرعَ بها اكثر منك.»

«لا اريد ان اقود بسرعة.»

واستدارت حول السيارة ثم مدت إليه يدها تطلب المفاتيح وقد صممت على الا تدعه يسير اثناء هذه العطلة وفق قواعده.

تنهد متعباً وهو يقول:«ما الذي تريدينه مني يا ليزا؟»

فكرت هي في انها تريد منه كل ما يمكن ان يمنحه الخطيب لخطيبته والمحب لحبيبته. ان شيئاً من الاهتمام والاعتبار يغطي كثيراً من الاخطاء. وكذلك بعض الاحترام لرغباتها. ولكن كين لم يكن في مزاج يمكنه من احتمال وابل من انتقاداتها.

نبّهت نفسها إلى ان عليها ان تهاجمه بأمر واحد في كل مرة، وما دام هو يتباهى بأنه عقلاني، فعليها ان تكون عقلانية هي ايضاً.

قالت بصوت هادىء منخفض:«اولاً، اريد ان اعرف لماذا لم تحمّل نفسك عناء مكالمتي هاتفياً طوال الوقت الذي غبته.»

فأجاب:«سبق واخبرتك بأنني كنت اعالج ازمة صعبة.»

«هل كان ذلك في كل دقيقة من كل نهار؟ بما في ذلك عطلات نهاية الاسبوع؟»

سألته ذلك من دون ان تفلح في اخفاء نبرة الشك من صوتها. فأجاب:«نعم.»

«أما كان بإمكانك ان تستغني ولو عن خمس دقائق؟»

«لماذا، يا ليزا؟»

«لتتحدث إلي. لكي تجعلني اعلم انك لم تنسني كلياً.»

«لقد اتصلت بك هذا النهار. وأنا هنا لانني لم استطع نسيانك.»

«ليس هذا هو الموضوع.»

«وما هو الموضوع؟»

حوّلت عينيها عن عينيه شاعرة بوجهها يتوهج. لم تسأله ذلك من قبل قط وكرهت ان تسأله الآن، ولكنها كانت تريد وبحاجة إلى ان تعلم. فإذا كان

غير مخلص لها فهي لن تنظر اليه بعد ذلك مهما كان مبلغ حبها له. ثم ارغمت نفسها على التحديق فيه متحدية:«هل اعتدت ان تكون مع شخص آخر اثناء هذه الرحلات يا كين؟»

فهز رأسه وكأنه لا يصدق ان من الممكن ان تساورها مثل هذه الشكوك ونظر اليها ساخراً من مخاوفها:«هل هذا هو سبب كل هذه الامور يا ليزا؟»

فكرت في ان هذا ليس وحده السبب، ولكنها لم تجبه. وانتظرت عسى ان تلمح ومضة من التهرب تصدر عنه، وقد تملكها التوتر.

قال باشمئزاز: «سؤالك هذا لا يستحق الجواب ولكن بما انه يبدو انك تريدين جواباً دعيني اخبرك بأن خطوبتنا كانت ستنتهي لو انني فكرت بامرأة اخرى. اما بالنسبة الى الاتصال بك هاتفياً فهل تتصورين ان ذلك يثبت شيئاً؟» وبدت السخرية في صوته.

«لو كنت اسير في ذلك الطريق الذي تقصدينه لكنت خدعتك بالاتصال بك كما اخدعك بالطرق الاخرى.»

فتملكها الارتياح فقد رأت كلامه معقولاً وكين ماريوت يريد لنفسه الافضل دوماً، إذ من مبادئه ان ينبذ ما ترتيبه الثاني في الافضلية وتبع شعورها بالارتياح موجة من السرور. لقد شعرت انها بالنسبة الى كين مازالت هي الافضل ومع

ذلك فهو لم يكن يعاملها كما يجب حسب الاصول.
واصرت تقول بعناد:«لماذا لم تتصل بي؟ كان هذا يعني الكثير بالنسبة إلي لو انك فعلت.»
«ليزا إذا كنت تريدين رجلاً يمتثل لمطالبك فابحثي عن غيري فأنا لست ألعوبة بيد احد.»
وفتح لها باب مقعد القيادة وقد لمعت عيناه بتحد غاضب.
«ما دمت تريدين ان تريني مهارتك في القيادة، فلا بأس.»
لم تشعر ليزا من قبل بعدم رغبة في قيادة السيارة منها الآن. فهي لا تشعر بأي سرور وزحام السير يخنق الشوارع، خصوصاً وكين بجانبها بمثل هذا المزاج السيء والذي يدفعه الى انتقادها لأقل هفوة. ولكنها كانت قد اتخذت موقفاً ولم تعد تستطيع التراجع من دون ان تبدو تلك الفتاة التافهة كما يتهمها. وهكذا تناولت المفاتيح منه، ثم صعدت الى المقعد وراء عجلة القيادة، واغلق هو الباب خلفها بحدة.
ولم يكن كين راضياً عن تصرفاتها هذا المساء.
تنفست ليزا بعمق، لتطلق آهة طويلة مرتجفة كانت هي ايضاً غير راضية بتصرفاته ما عدا... ورفعت باقة البنفسج إلى وجهها تدفن انفها في شذاها. ربما اشترى لها هذه الازهار الجميلة لانها هي المفضلة

لديه. وعندما تهالك كين على المقعد بقربها، استدارت بسرعة لتضع الازهار على المقعد الخلفي بعناية.
قال:«لا يوجد مكان للساقين في هذه السيارة.»
لم تكن سيارتها النيسان الصغيرة تماثل سيارته الجاغوار الفخمة، ولكنها صالحة للتجوال بها في انحاء المدينة. ولكنها لم تهتم بالاعتذار عن ذلك.
شدّت حولها حزام الامان، وانتظرت الى ان انهى هو شد حزامه فركزت اهتمامها على الخروج من الموقف من دون ارتكاب اي خطأ وعندما اصبحا ضمن حركة السير في الشارع الذي يقود الى المدينة اراحت نفسها من التركيز على القيادة لكي تعيد النظر في وضعهما.
لم يكن كين قد نطق بكلمة منذ شرعا في السير وبدّد التوتر الذي ساد الجو بينهما اي حظ في تبادل الحديث بشكل طبيعي. وكانت هي قد طلبت هذا الوضع لانها كانت ادركت ان الاجوبة التي كانت تريدها ليست من النوع الذي يمكن ان تحصل عليه مباشرة. كان من المستحيل تقريباً توجيه اسئلتها ولكن عليها ان تبدأ في موضوع ما.
سألته بتردد:«ما الذي تريده من هذه العطلة الاسبوعية يا كين؟»
اجاب:«اريدك انت.»
«اهذا كل شيء؟»

«اتشعر بالاحباط؟»

«الى حد بالغ.»

«اهذا بسببي ام بسبب العمل؟»

فاطلق ضحكة قصيرة خشنة:«الإثنان.»

رمقته بنظرة خاطفة، فقال ساخراً:

«سأتخلص من ذلك فأنا اختصاصي في مثل هذا الامر.»

كانت هذه نصف المشكلة مع كين على الاقل اكتفاؤه الذاتي. وكانت ليزا تعيده الى نتيجة طلاق والديه حين كان في الثانية عشرة من عمره. فكان الشعور الوحيد بالامان الذي يثق به هو ما يصنعه لنفسه. وفي الثالثة والثلاثين، لم يكن كين مستعداً لتغيير ما كان وفره لنفسه بنجاح.

كانت ما تزال تجهل مكانها في حياته. فقد كانت معظم علاقاته تتعلق بعالم الاعمال، وكانت تشك في عمق اي منها. لم تكن له علاقة بأي من والديه، مع انه كان قد تحدث إليها عن شقيقة صغرى كان يزورها في المناسبات الا ان ليزا لم تقابلها قط. كما ان كين لم يشأ قط ان يتعرف الى اسرتها.

كان هذا ينبوعاً آخر لشعورها بالمرارة في خطوبتها به. فقد كانت بالغة الحب لاسرتها فهي جزء هام من حياتها ومتمم لها ولم يشأ كين ان يدرك

هذا فكيف بالقبول به. وكان يتملكه السأم كلما تحدثت عن والديها واخوتها الثلاثة الذين يكبرونها. كان الشخص الوحيد في الاسرة الذي تعرف إليه هو الشقيق الذي كان يشاركها البيت، وحيث ان طوني كان طياراً وغائباً اكثر الاحيان فقد كانت مقابلاتهما قصيرة.

كان والداها يعيشان خارج المدينة، لذا، لم تسمح الظروف لهما ليتعرفا على كين. وفي الواقع كانت ليزا غالباً ما تزورهما لتمضي ليلة عندهما. ولم يكن كين يحب ان يشارك مع ليزا احداً آخر في وقته، إلا إذا كان ذلك يتعلق بالعمل.

كان رجلاً انطوائياً. وإذا كان صادقاً فقد بقي مخلصاً لها خلال وقت الخطوبة التي استمرت عاماً كاملاً. وتساءلت عما إذا كان من الممكن ان تكون هذه ميزة حسنة فيه، ولكنها عادت فتذكرت ما كان قاله من انه سيقرر هذه العطلة الاسبوعية ما إذا كان يريد ان يستمر في هذه الخطوبة. فهل سينهيها بصرف النظر عن قرارها؟ والقت بها هذه الفكرة في دوامة من المشاعر.

سألته:«متى ستعود الى فيكتوريا، وكم ستغيب؟»

كان هذا سؤالاً هاماً بالنسبة إليها. فقد كانت تريد ان

فانفجر يقول متضايقاً:«ما الخبر، يا ليزا؟ اليس لديك اي ادراك بأنه ما كان لي ان اكون هنا؟ كان عليّ ان اكون في فيكتوريا اشرف على ما ينبغي ان يُعمل. فالسبب الوحيد الذي جعلني احضر الى هنا هو انت.»

كان هذا ساراً للغاية ولكنها رأت ان من غير المنطقي ان يتوقع منها ادراك اشياء بينما لم يزعج نفسه بإبلاغها وضعية عمله بالتفصيل. وعلى كل حال فهي تعلم الآن انه سيعود الى فيكتوريا بعد عطلة الاسبوع هذه، وهكذا تكون هذه الرحلة غير عادية ولم تعرف قط من قبل ان كين ترك شيئاً قبل ان ينتهي منه تماماً.

سألته:«هل لديك خطة او غرض من وراء هذه العطلة الاسبوعية.»

فاندفع في مقعده الى الخلف وهو يتنهد ثم يقول بضجر:

«ان لديّ رؤيا عما اريده.»

دوماً كان لدى كين سبب ما. فلا شيء يحدث دون سبب على الاطلاق. ولم تستطع ليزا ان تصدق ان رؤياه تلك تتركز عليها. فالاسبقية عنده هي لشركته الهندسية فقط. ثم قررت ان تجس الامر اكثر من ذلك فقالت ساخرة:«ما احسن ان اعرف انني اعني

شيئاً في حياتك ولكن الاتصال الهاتفي كان اسهل بالنسبة إليك.»

قال ببطء:

«انه لا يمنح نفس الشعور بالرضا.»

اخذت تفكر ساخرة في ان هذا طبيعي.

تابع بحدة:« اتريدين ان تفسدي كل شيء قبل ان يبدأ؟»

فانفجرت تقول:

«كلا فأنا لا احاول إفساد اي شيء قبل ان يبدأ. انني فقط اريد ان احصل على بعض الاجوبة، مثل ماذا اعني لك في حياتك.»

فقال:«إنني هنا، اليس كذلك؟»

قالت ساخرة:«نعم انت هنا. فهل هذا يعبّر عن الانانية لاجلك، ام عن العطاء لي؟»

«الاثنان معاً.»

نطق بذلك، من دون اي تردد وكان في هذا نوع آخر من الاهتمام بها لم تكن تتوقعه.

نظرت إليه وقد تصاعد الامل في نفسها، فقال:

«ركزي اهتمامك على القيادة يا ليزا.»

قالت متمنية لو تستطيع قراءة افكاره:

«انك منزعج للغاية.»

«إلى اقصى حد.»

تعلم ما بإمكانها ان تتوقعه منه... وما إذا كان ثمة أيّ مستقبل لهما معاً بعد هذه العطلة الاسبوعية.

فتنهد مرة اخرى بضجر وهو يقول:

«لا اعلم.»

القت عليه نظرة. كان يبدو متعباً للغاية وبالغ الارهاق، فقالت برقة:«لقد اشتقت اليك.» وكان صوتها ينضح بالحنين كان تريده ان يتصل وان يبقى على اتصال بها، ان تشاركه حياته ويشاركها حياتها.

قال بابتسامة ملتوية:«وأنا اشتقت إليك اكثر بكثير.»

كان هذا اعترافاً نادراً ما يصدر عنه. ربما كانت الرقة قد بدأت تتملكه. فابتسمت له بعطف قائلة:

«الا يمكنك ان تجد من يشرف على العمل بدلاً منك.»

اجابها:«سأفعل ذلك إذا حصلت على مشروع وينجيكامبل.»

حولت ليزا انتباهها بسرعة الى الطريق. لقد ساورتها الشكوك وهي تتذكر القرارات التي اتخذت اثناء اجتماع المديرين عصر هذا اليوم. اترى كان كين يعلم ان المناقصة التي عرضها كان سيجري بحثها اليوم وهل هذا هو السبب في حضوره الى هنا بيته لكي يستخلص منها

المعلومات؟ اتراه يستغلها في شيئين الحب والعمل.

سألته بلهجة عفوية:«كنت اظن انك قدمت لشركتنا مناقصتين.»

«هذا صحيح. انني بحاجة الى وينجيكامبل. وإذا حصلت على مشروع جيسامين ايضاً يكون هذا افضل.»

انتظرت عدة لحظات، ولكنه لم يلاحق الموضوع. وساورها خيط من الامل. ربما كان لخطوبتهما هذه الاولوية عنده ولو مرة فسألته:«لماذا وينجيكامبل بهذه الاهمية؟»

«لانني اعيش على شفا الهاوية. فلولا قانون ضريبة العشرة بالمائة الذي يعمل لمدة سنتين لكنت الآن مستقلاً مالياً طوال الحياة. وهذا كل ربحي وعليّ ان انتظره عامين. ومن دون وينجيكامبل... تباً لذلك! إنني بحاجة الى تلك السيولة وذلك لكي تنتعش اعمالي.»

هذا يفسر سبب توتره وضيقه. لماذا يعتبرها في المكان الثاني من حياته. فالانتعاش اقتصادياً هو دوماً في المقام الاول عند كين. ولكن شعور ليزا قد اصبح الآن افضل بكثير وخصوصاً لانه لم يسألها عن المناقصات الاخرى في الشركة.

ربما حياته يهيمن عليها الرغبة في المال والكرامة والنجاح والحاجة الى تغذية زهوه واعتباره لنفسه ولكن ربما كان لها مركز هام هي ايضاً في حياة كين، فهو قد جاء الى بلده ليكون معها، وقد اظهر اهتمامه بها.

انتعش في ذهنها قرار جديد. ستحاول ان تنسيه العمل اثناء هذه العطلة الاسبوعية، وتساعده بكل امكانياتها.

قالت له مستطلعة:«ربما، إذا كنت تدير امورك المالية على غير ما ينبغي يمكنك ان تخفض من مستوى معيشتك. فلا تنفق الكثير من المال على نفسك.»

قال بحدة:«لا تحاولي ان تعلميني كيف ادير اعمالي، يا ليزا فما انفقه على نفسي في عام واحد لا يؤثر مقدار ذرة في ما ادفعه للضرائب وهذا عدا الراتب الاسبوعي الذي ادفعه للموظفين عندي.»

هذا جزاؤها لانها حاولت مساعدته وقالت:«اظنني لا افهم شيئاً في عالمك المالي.»

«نعم، انت كذلك.» اجابها بذلك وكأنه يعلن امراً معروفاً دون اي تواضع او رقة، ذلك ان كين ماريوت يسير بحياته دوماً في الطريق التي يراها تناسبه.

تنهدت باستسلام:«في هذه الحالة، اظن ليس لدي ما اقدمه اليك...»

لم تستطع ان تكمل الجملة، ولكن كين علم حالاً ماذا تعنيه. لقد حصل على الخضوع الذي يبغيه في هذه العطلة.

همس برقة لم تعهدها منه:

«انظري إلي، يا ليزا.»

نظرت اليه مجفلة وقد تملكتها الدهشة وإذ بقدمها تدوس على دواسة البنزين من دون وعي منها، ما اوشكت معه على الاصطدام بالسيارة التي امامها، وقفز قلبها وهي تحول قدمها الى الكابح.

بعد ان تفادت الكارثة، جذبت نفساً عميقاً، ثم القت على كين نظرة عتب وهي تقول بصوت مرتجف:

«كيف تتوقع مني التركيز على قيادة السيارة بينما انت تكلمني بذلك الشكل؟»

فقال بابتسامة ماكرة:

«ان لديك دوماً ردات فعل سريعة.»

«كين.»

نظر اليها قائلاً باستهزاء:

«انطلقي بالسيارة كالريح، يا ليزا. تخللي كل فجوة في الزحام.»

لقد فقد صوته حدته وتوتره لأول مرة هذا النهار.لقد تعودت على تقلبات مزاجه، في بعض الاحيان يكون مسيطراً عليها وفي البعض الآخر يكون رقيقاً

ومحبباً. قد تكون هي غبية ضعيفة، ولكنها ستمضي برفقته هذه العطلة الاسبوعية بأي طريقة.
مهما كانت تحبه، فان هذه العطلة ستكون الاهم لانها ستوصلها الى الطريق الصحيح.

john lee

الفصل الرابع

لم يكن الطريق الذي يقود الى بيت كين ماريوت طويلاً فهو لم يكن فقط بجانب المطار، ولكن يمكن الوصول اليه خلال الطرق الفرعية، تجنباً لازدحام الطرق العامة الرئيسية. ولم يكن هذا شقة في مبنى كبير، وإنما منزلاً ذا شرفات وفناء خلفي وكاراج.
فتح كين البوابة الى الفناء الخلفي لكي تمر ليزا منها بسيارتها لتوقفها على الارض الموصوفة بالحجارة شأن معظم المنطقة، وكانت وفرة النباتات الاستوائية التي تغطي ناحيتي السياج تؤمن الجمال للمكان، كان لاختيار كين لمسكنه هذا يمثل شخصيته. فهو منزل راقٍ في منطقة راقية، كما انه ملائم وقريب من كل شيء من أماكن العمل والمطاعم والمتاجر وغير ذلك...
سار كين وليزا خلال الباب الزجاجي الى حيث المطبخ الحديث الطراز. والذي كان كل ما فيه ابيض اللون ومن المعدن غير القابل للصدأ.
كان ديكور الشقة آخر صيحة في الحداثة، فهو بالغ الرفاهية والراحة. كانت غرفتا الجلوس والطعام في الطابق الاسفل مؤثثتين بالجلد ومعدن الكروم

والزجاج بالألوان الابيض والاسود والاحمر، بلمسات قليلة من الاخضر والارجواني، ما جعل لكل ذلك تأثيراً غير عادي بجماله.

كان كل شيء في المنزل يدل على الثراء، من الأرائك الفسيحة في قاعة الجلوس الى المصابيح التي تنطق بالفن الحديث، إلى اللوحات السريالية على الجدران، كانت الجدية والبساطة هي السمة الغالبة، فلا اضافات ولا اشياء لا معنى لها في ظل نظر كين.

عندما دخلا المطبخ، امسكت ليزا بباقة البنفسج بيدين مرتجفتين.

سألها كين وهو يضع حقائبه على الارض ثم يتوجه الى الثلاجة مباشرة:«تريدين طبعاً شرابك المفضل عصير الليمون.»

اجابت:«نعم، شكراً.»

وعندما جاء بكوبين سألته:«هل اعد شيئاً من الطعام؟»

اجاب:«فيما بعد.»

وقفت امام الحوض تضع الازهار في الزهرية، بينما كان هو يقول بصوت منخفض رقيق:«لقد تعبت كثيراً في هذه الاسابيع الثلاثة وانت استقبلتني بالتهديد والنفور.»

لا بد انها جرحت كبرياءه، فقالت نادمة:«لم اكن

اعني ما قلته لك في الهاتف، يا كين، فقد كنت غاضبةمنك لانك لم تتصل بي هاتفياً.»

فهمس يقول بصوت ساخر:«عليك ان تتعلمي الا تلعبي بالنار.»

قالت تعتذر:«كنت افتقد إليك يا كين، وهذا كل شيء.»

«وكذلك انا....»

ساورها الأمل في انه ربما يهتم حقاً اكثر مما كانت تظن، ام لعل ذلك مجرد حب التملك فيه؟

«هل انت مسرور الآن؟»

«تقريباً.»

بدا لها محبطاً للغاية، لو كان كين فقط اكثر اهتماماً بها، إذن لكانت سعادتها لا توصف معه.

ربما كان لها مكان خاص في نفسه ولكنه لم يقل لها قط انه يحبها، وتساءلت ليزا عما إذا كان ذلك لانه لم يستطع ان يرغم نفسه على قول شيء لا يشعر به، او ان ليس بإمكانه ان يقول شيئاً يكشف عن ضعف تجاهها، ام ان ماضيه جعله غير قادر على حب اي انسان؟ وإذا به يسألها فجأة:«ماذا تقولين لو انني قلت لك انني احبك، يا ليزا؟»

فقفز قلبها ونظرت إليه بمزيج من الامل والريبة، وانتصرت الريبة. فثمة سبب وراء كل ما يقوله كين،

فهو يتكلم من عقله وليس من قلبه. لم يكن كين قد احب احداً او شيئاً في حياته قط من قبل، فقد كره والدته لاتباعها حياتها الشخصية. وكره والده لانه لم يجاهد في سبيل ما هو له وقبوله بضعف ما فعلته زوجته به وبولديهما، كره في شقيقته عصابيتها التي تجعلها تعتمد على الآخرين، رغم انه كان يكن لها شيئاً من العطف، ولو كان الحب في طبيعته، لاخمده بصفته شيئاً غير موضع للثقة.

اجابته على سؤاله بعبوس ساخر كانت ترجو ان يخفي الألم الذي كان وراء كلماتها:«كنت اقول انك تكذب.»

«لماذا؟»

«لانك منذ ساعة كنت في المطار تشير لي إلى الباب قائلاً انه طريق الخروج من حياتك.»

«كنت اضعك امام خيارين.»

«ولكن ذلك لم يملأني بالثقة في مبلغ حبك لي، يا كين.»

فقال:«لقد اعطيتني نفس الشعور بكلامك ذاك في الهاتف.»

اترى كرامته جرحت؟ ما جعله يستفزها الى القول بأنها تحبه؟ فهي دون شك، هددت حسه بالامان عندما قالت له انها تهتم بغيره. وفكرت مكتئبة، بأن

هذا كله من جانب واحد، ذلك ان كين لا يحبها وانما المسألة مسألة نفوذ، وكان هو يريد ان يرى مبلغ نفوذه عليها، وخاطبته بصمت، ان ذلك لن يكون اثناء هذه العطلة، فنحن الآن سنتقابل مقابلة الند للند، يا كين ماريوت، هزت كتفيها قائلة:«ربما نحن غير متلائمين.»

«اهذا هو رأيك؟»

«لقد سبق وقلت لك انني سأعطيك رأيي مساء الاحد.»

«عما إذا كنا ملائمين؟»

تعمدت إخفاء مشاعرها وهي تجيبه قائلة: «بل عن استمرار خطوبتنا فترة اخرى.»

«مادام ذلك يناسبك.»

فهزت كتفيها:«شيء كهذا.»

«وإذا قلت لك انني لا احبك؟»

«إذن لصدقتك.»

ضحك ولكن من دون بهجة:« اتعرفين ما هو الحب، يا ليزا؟»

قالت بارتياب:«وهل تعرفه انت يا كين؟»

فقال ساخراً:«لا اظن ذلك.»

فكرت هي بسخرية مرة بأن ظنه هذا صحيح، وانها ضعيفة غبية، ولكنها غير نادمة، في الحقيقة، فقد

قررت الآن ان هذا هو الوقت المناسب لكي تعرف وضعها في نفسه.

سألته:«اذا كان عليك ان تختار بيني وبين عملك، فماذا تختار، يا كين؟»

هز كتفيه:«هذا مجرد افتراض لن يحصل ابداً.» انه الرجل الواقعي ابداً، كما اخذت تفكر، والذي لا مكان للعاطفة في نفسه، ومن العجيب حقاً ان فكر في شراء باقة بنفسه لها، واصرت على سؤالها تريد الجواب:

«ماذا كنت تختار؟»

«في هذه اللحظة؟»

قالت:«نعم.»

«في هذه اللحظة بالذات؟»

«نعم، الآن.»

لم يبد عليه أثر للتردد او عدم التأكد وهو يقول:«انني اختار العمل.» انه صادق تماماً، وفي غاية القسوة، كين هذا، وكانت هي تعلم ذلك بالطبع، ولكن هذا لم يمنع الجرح من ان يصيبها في الصميم، سألته متظاهرة بمجرد الفضول:«هل هناك سبب معين؟»

«انا احب عملي.»

«اهذا كل شيء؟»

قال بعنف:«وانت اخبرتني هذا الصباح بأنك ستتركينني.»

حدقت ليزا به وقد تملكها الذهول لتغيره المفاجيء هذا، وقالت تدافع عن نفسها:«كان هذا فقط لانك على ما انت عليه.»

«وما هذا؟»

«عدم الاهتمام او الرضا بأي شيء ما عدا رغباتك الخاصة.»

رفع حاجبيه بسخرية متغطرسة:«ما اسخف هذا.»

قالت بحدة:«هذا ليس سخيفاً، وهو لا يحتاج الى سوى لفتات بسيطة...»

فقال هازئاً:

«اتصال هاتفي مثلاً...»

قالت بغضب:

«بالضبط.»

فلمعت عيناه بسخرية:«وإحضار ازهار لك؟»

«كل هذا ذو فائدة.» قالت ذلك بغضب وقد تملكها الاستياء من رفضه اشياء تعني لها الكثير.

«وهل تسمين ذلك حباً، يا ليزا؟» وكان عدم التصديق يغلف النبرة الخطرة في صوته المنخفض.

لكن ثقتها القوية فيما تعتقده، لم تدع مجالاً للشك:«ان امور بسيطة كهذه تظهر انك لا تفكر في نفسك طوال الوقت، انها تظهر اهتمامك بي، ومن دون الاهتمام، ليس هناك حب.»

بدت القسوة في اساريره:«ماذا تريدينني ان افعل؟ ان احضر اليك فنجان قهوة وانت تجلسين مرتاحة على الكنبة؟»

«تلك فكرة رائعة.»

«إذا كنت تريدين هذا النوع من الرعاية الطفولية التي تعامل بها شقيقتي زوجها، فالافضل ان تبحثي عنها في مكان آخر، فهذه ليس فكرتي عن الحب.»

قالت ساخرة:«انني اعلم هذا، يا كين، فأنت لا تتنازل عن شيء.»

لمعت عيناه، وقال بجمود:«ارى انها ستكون عطلة مميزة.»

فقالت:«وهذا هو رأيي انا ايضاً، ربما الافضل ان اذهب الآن... ما دمت قد وصلت الى منزلك الآن.»

اطلق ضحكة قصيرة خشنة:«انك تظنين هذا، اليس كذلك يا ليزا؟ تظنين ان كل ما اريده منك هو اصطحابي من المطار؟ اتظنين ان هذا ما يحملني على الاتصال بك؟»

نعم، هذا ما كانت تظنه، ولكنه كان من الإذلال لها بحيث لم تكن تستطيع الاعتراف به.

سألته وهي ترتجف:«ما الذي يعيدك إليّ دوماً إذن؟»

قال هازئاً:«وهل تصدقين... انها طبيعتك الحلوة الهادئة؟»

فقالت تفسر كلامه بمرارة:«اتعني انني اخضع لسيطرتك على الدوام؟»

توترت ملامحه وكأنها صفعته:«انني لم ولن اعتبرك ضعيفة ابداً.»

قال ذلك بمرارة بالغة ما جعلها غاية في تشتت الذهن. استدار متجهاً نحو الباب، فهتفت به وقد جعلها نبذه لها في برودة الثلج. «إلى اين انت ذاهب؟»

سألته ذلك ناسية كل كلامه لها ما عدا انه يفضل عمله عليها. ولكنه قال دون عناء النظر اليها:«لاحضر بعض الطعام.»

تنهدت ليزا لهذا الجواب الذي لم يعجبها:«اظنك تريدني ان اطهي لك شيئاً.»

فالتفت اليها وقد توترت ملامحه وبدت السخرية في عينيه العنيفتين: « كنت اظن حسب تعريفك، ان هذا عمل شخص يحب.»

فقالت تنكر عليه سلطته تلك عليها:«لم اقل قط انني احبك.»

قال متهكماً:«هذا ما أراه، ولهذا سأطهي طعامي بنفسي.»

زمجرت في أثره وهو يسير نحو الباب:«ان طبعك لا يطاق.»

وقف وألقى عليها نظرة ملتهبة. «ولكننا ملائمان لبعض، اليس كذلك يا ليزا؟»

ثم خرج من المطبخ.

بقيت ليزا عدة دقائق وهي تغلي من الغيظ وقد تملكها السخط لطباع كين ماريوت الصعبة، كان رجلاً غامضاً يثير الاعصاب ولن تفهمه ابداً طوال حياتها. ومع ابتداء تحطم علاقتهما هذه، فإن هذه العطلة ستكون سيئة للغاية.

john lee

الفصل الخامس

اخذت ليزا تجول بنظراتها في انحاء غرفة الجلوس وهي تفكر، هناك شيء واحد يمكن ان يقال بالنسبة إلى كين، وهو انه ليس من صفاته الضعف او التردد او انعدام الحيوية. خصوصاً عند صنع قراراته، ولا في ذوقه في ديكور المنزل، فحيويته تلمس كل شيء، وعلى ليزا ان تعترف بأنها في وجوده، تشعر بالحيوية اكثر من اي وقت آخر في حياتها.

لم يسمعها وهي تسير نحو المطبخ، فالسجادة السميكة كانت تمتص صوت وقع خطواتها، وقفت ليزا عند العتبة بين المطبخ وغرفة الطعام واخذت تراقبه، محاولة ان تكتشف شخصيته الحقيقية.

صفق باب الثلاجة بعد ان اخرج منها بعض اللحم المثلج والقى به على الحوض، ثم اتبعه بشيء من الخضر والبصل، ثم اقفل درج الثلاجة برفسة من قدمه وكذلك باب الثلاجة ليلقي بعد ذلك بالخضر في الحوض ايضاً، فقد كان من عادة كين تقشير البصل تحت الماء المتدفق.

كانت كل حركة منه تشير الى توتره. لم تكن الامور تسير على ما يرام اثناء عطلة الاسبوع هذه. وكان

واضحاً انه يرغب في عودة خطيبته الناعمة الرقيقة ليزا، وليست هذه المرأة السليطة اللسان والتي كانت تفسد كل شيء.

بدا متعباً للغاية، فقد كانت عيناه غائرتين، كان عمل كين شاقاً مجهداً، فقد كان يدير اعماله وحده تقريباً، ولا شك ان الاسابيع الثلاثة الاخيرة كانت ثقيلة عليه، لا بد انه لا يشعر برغبة في الطهي والذي يدفعه إليه اما الجوع الشديد او الكبرياء او ليتباهى بذلك امامها، او الثلاثة اسباب معاً.

سألها دون اكتراث:«هل يكفي اللحم، ام اصنع لك شيئاً آخر؟»

لم تستطع ان تحتمل مثل هذا الوضع، ربما عليها ان تذهب الآن... ولكنها كانت وعدته بأن تتناول طعام الغداء معه.

قالت له:«لما لانذهب الى مطعم ليشيو؟ فهو قريب من هنا، وانت دوماً تحب الطعام الذي يقدمه.»

كان هذا المطعم الايطالي مفضلاً لديه. ربما بإمكانهما ان يرتاحا هناك امام وجبة فاخرة، وقد يريحهما المشي من هذا التوتر المسيطر عليهما.

شعرت بالارتياح وهي ترى موافقة كين على ذلك.

قال وقد رقت ملامحه بابتسامة أسف:«لا يبدو ان بإمكاني تهدئة طباعي، هذا النهار.»

فابتسمت:«لقد كنت انا ايضاً متوترة الطباع.» قالت ذلك معتذرة، تريد ان تنهي هذا الوضع بينهما، والذي لا يفيد بشيء، فكين هو كين وهو لن يتغير تبعاً لإرادتها. وقد سبق وقال ذلك بوضوح.

تقدم نحوها باسماً:«أهي هدنة؟»

فأجابت:«نعم، هدنة.»

استدار يتناول سماعة الهاتف:«سأتصل بالمطعم لأرى ان كان لديه موائد خالية.»

قالت بعدم اكتراث:«كما تشاء.»

ووقعت نظراتها على باقة البنفسج التي كانت وضعتها على الحوض، وكانت قد ملأت الزهرية بالماء، ولكن جدالها مع كين الهاها عن وضع الازهار فيها. وبينما كان هو يتكلم في الهاتف، كانت هي تتجه نحو هذه الازهار لتكمل ما كانت بدأت به.

شعرت بأن كين يستدير لينظر اليها، ولكنها لم تهتم باستصغاره لهذه الهدية من الازهار، فقد احبتها للغاية، ورفعتها بحركة آلية، إلى انفها تتشممها مرة اخرى قبل ان تضعها بعناية في الزهرية، انها تحب ان تعتبرها دليل حب منه لها، ربما كانت هذه حماقة منها، ولكن ما الضرر في قليل من خداع النفس اثناء هذه العطلة الاسبوعية الاخيرة في خطوبتهما؟

سيكون عليها ان تواجه الحقيقة في الوقت المناسب، افلا يمكن ان يكون هناك شيء من الحلاوة في تلك المرارة؟

سمعت كين يضع السماعة، فنظرت اليه مستطلعة، وكان هو ينظر اليها وقد بدا الهزء في ملامحه، وكأنه يفكر متأملاً في شيء لم يفكر فيه قط من قبل.

سألته:«هل كل شيء على ما يرام؟»

«نعم...انهم سيحجزون مائدة لنا.» وأومأ برأسه نحو الازهار يسألها:«هل تسرك هذه الازهار حقاً، يا ليزا؟»

«الا تظن ذلك، يا كين؟»

فهز كتفيه:«لا اظنني اميل الى التفكير في مثل هذه الاشياء، انني اراه... مصطنعاً.»

«لماذا؟»

فقال بخشونة:«لم يفعل احد شيئاً قط لاجلي من دون ثمن.»

مسكين كين. فهو ما كان محباً ولا محبوباً، (لم يفعل احد شيئاً قط لاجلي)، لقد كان الناس يرفعون ابصارهم إليه فيرون النجاح الذي احرزه من دون ان يدركوا كم كلفه هذا الفراغ المر المظلم في روحه، عزلته عن باقي الانسانية، كان بحاجة الى شخص يحبه... يحبه لنفسه وليس لمركزه ولا لثرائه. ذلك

لانه كان غلاماً غير مرغوب فيه ولا يحبه احد، فتقدمت نحوه تلقائياً محاولة ان تفهم.

لقد ادركت فجأة السبب الذي يجعله يبخل عليها بباقة ازهار، فقد كان يعتبر ان من الخداع ان يحاول شراء العطف والمودة، لقد منحها هذا الحديث رؤيا ثمينة في نوع تفكير كين بالناس، كما انها تزعزع عدة اشياء مما كان يثير استياءها.

حاولت ان تفسر له الامر، بقولها:«انه ليس الثمن وإنما هو التفكير.» كانت تريده ان يفهم، ويدرك انه لم يحصل على مثال من حياة اسرية مليئة بالمحبة والرعاية مثل حياتها.

خطر ببالها انها لا بد قد كان افسدها تدليل والديها واخوتها لها... بصفتها الابنة الوحيدة، والاخت الصغرى وقد افتقدت هذا كله في كين الى حد ألمها، ودفعتها كرامتها إلى ان تمنع عنه ما منع عنها، وها هي ذي تدرك الآن مبلغ خطأها لم يكن هو يعرف الاسباب ولكنها هي كانت تعرف.

تابعت تقول برقة:«ليس عليك ان تشتري اي شيء كين، فإذا انت اوقفت سيارتك الى جانب الطريق، لتقطف بعض الازهار البرية لاجلي ظناً منك انها قد تعجبني، فهي تسرني. فهذا يريني انك تهتم بي.»

تابعت بلهجة ساخرة:«ان ثلاثة اسابيع من الصمت

فتنهدت، وبسطت يديها وكأنها تعتذر عن عدم تمكنها من ابداء الاسباب:«اظن اقرب تفسير يمكنني اعطاؤه هو انني اشعر بكل ما حولي يتوقد، عندما اكون معك، فالحياة اكثر إشراقاً وتألقاً، وبهجة...»

فكرت وهي تتابع: «عندما تكون بعيداً عني اشعر بأن هناك شيئاً ينقصني.»

قطب جبينه وهو يومىء برأسه مفكراً، ثم القى عليها نظرة تفهم:«هذا إذن، السبب في انك تريدينني ان اتصل هاتفياً، لكي تستمري في الشعور بأنك مازلت على قيد الحياة، اليس كذلك؟»

«هذا احد الاسباب.»

فقال:«سأفعل ذلك في المستقبل يا ليزا.»

حركت رأسها غير مصدقة. هل يقرر ذلك بهذه السهولة؟ ثم عادت فأدركت ان كين قد غير رأيه في ما تحتاج إليه

تساءلت عما إذا كان سيدلي بسبب آخر غير ما سبق وقاله (بأنهما متلائمان) وسألته قائلة:«وما الذي يجعلك تتشبث بي؟»

ابتسم وقال:«اظن الامر مشابهاً.» ثم تلاشت ابتسامته، وازدحمت المشاعر في عينيه، ثم قال برقة:«انني اريدك ان تبقي معي، يا ليزا، فما هو رأيك؟»

تبقى معه فقط اثناء العطلات الاسبوعية؟ هذا بالإضافة الى المكالمات الهاتفية التي وعدها بها؟

وامتلأ قلبها بمزيج من الأمل واليأس. كانت تريد من كين اكثر ممن اعطاها بكثير، ولكنه قد ابتدأ يعطي. ومع مزيد من الوقت والتفهم بينهما، ربما يصبح بإمكانهما ان يصلا الى نوع من المشاركة التي تعني استجابة كل منهما لمطالب الآخر.

«لا ادري بالدقة ماذا تعني، يا كين. ما الذي يدور في ذهنك؟ ما الذي تتطلع إليه؟»

«الزواج.»

سرقت هذه الكلمة انفاس ليزا، فنظرت إليه ذاهلة. هل هو جاد في كلامه؟

نظر اليها كان وجهه رزيناً وعيناه لا يمكن سبر غورهما وهو ينظر في عينيها:«انني اطلب منك ان تتزوجيني يا ليزا.»

قالت وقد جف فمها:«لا يمكن ان تكون جاداً.» كانت ترتجف كأوراق الخريف.

قال:«بل أنا جاد.»

غصت بريقها وهي ترغم نفسها على القول بسخرية: «بعد كل ما كان بيننا هذا النهار؟»

«وما اهمية ذلك؟»

«ظننته مهماً للغاية.»

ارتني انك لا تهتم بي. او على الاقل هذا كان معنى ذلك في رأيي.» وتوسلت اليه عيناها ان يقول الحقيقة.

«فهل مخطئة في ذلك، يا كين؟»

لم يجبها بضيق هذه المرة وإنما بقي عدة دقائق يفكر في ما قالت، واخيراً قال معترفاً كما لم يقر من قبل:«انني افكر فيك يا ليزا، واكثر مما اريد.»

هذا شيء آخر يكشفه لها، ومن الواضح انه لم يكن يحب ان يكشف عن ضعفه عن السيطرة على مركزها في حياته وسألته:«هل الامر مؤلم الى هذا الحد؟»

«قد يصل الى هذا الحد.»

كان في هذا الجواب ما يشير الى استياته من دفعه إلى القيام بعمل اكثر من المعتاد لكي يحصل على هذه العطلة الاسبوعية.

«انك لم تتدرب على المحبة، اليس كذلك يا كين؟»

اجاب ساخراً:«ليس كثيراً.»

«لماذا لا تجرب ذلك احياناً؟ ولو من باب التغيير.»

«هذا يدل على الضعف والنقص في الاستقلال الذاتي.»

«وهذا ما لا تطيقه؟»

فابتسم دون بهجة:«لنقل انني احذر من إعطاء أي شخص ما يمكنه من استغلالي.»

كبرياء، استقلال، مناعة... هذا هو كين، ولكن ليس

هناك رجل يعيش في جزيرة منفردة تماماً، مهما كان دافعه الى ذلك، فهناك ذلك القبس من الانسانية في كل انسان، والذي يدفعه إلى الاتصال بالآخرين، لكي يعرف ويفهم ويتلقى العناية ولو من شخص واحد، ربما هي ليزا التي اراد ان يصل اليها، ولكنه لم يستطع تماماً ان يطلق المجال لنفسه، لانه إذا هي خذلته فسيكره نفسه لضعفه في جعلها تتغلب على دفاعاته لوقاية نفسه.

قالت له بهدوء:«انك لا تتنازل عن رأيك كثيراً يا كين.»

«وكذلك انت، يا ليزا.»

اومأت برأسها وهي تفكر بألم، انه هو الذي اقام الحواجز، وهي التي ضربت تلك الحواجز برأسها وقلبها، وكان هذا هو السبب في ان صمته الطويل ذاك كان لا يطاق، ولكن من الواضح انه يشعر بأنها خذلته من بعض النواحي، وفي رأيه انها خذلته فعلاً هذا الصباح حين لم تشأ القبول بخطته.

قالت له:«اظنك تصبح قاسياً... حين يكون عليك ان تحارب القساوة.»

وانحدرت نظراتها عن وجهه لتستقرا على الازهار مرة اخرى، كانت هذه برهاناً على انه فكر فيها في المطار بعد ان رأى منها عدم الجزم بالنسبة

الى موافاته لعطلة الاسبوع، وحسب اعتقاده، كان شراؤها من باب السخرية لكي يراضيها، ولكنه على الاقل لم يكن ساخراً الى الحد الذي يجعله يشتري لها وروداً حمراء،لم يكن مخادعاً الى هذه الدرجة، ولكنه كان من القسوة بحيث يفعل ما يفكر فيه، لكي يحصل على ما يريد، وكان ما يزال يريدها، ويبدو ان العنف قد تملكه عندما هددت بتركه.

«هل يعجبك ان اريك نوع تفكيري بك عندما كنت في فيكتوريا؟»

نظرت اليه بارتياب:«وكيف ستفعل ذلك، يا كين؟»

كان في عينيه عزم بالغ. ما جعل لدى ليزا انطباعاً بأن كين قد قرر ان يجرب حظه، ولكنه كان متماسكاً إزاء اي نتيجة سلبية.

لم يجب على سؤالها، وإنما سار نحو حقائبه التي كان وضعها بجانب الجدار، ثم تناول حقيبة اوراقه قائلاً: «انتظريني هنا.»

كان قد ترك المفاتيح في جيب معطفه. فقالت له:«سآتي معك.»

نظر اليها ساخراً:«عديمة الصبر؟»

«بل عملية.»

فهز كتفيه:«كما تشائين.»

لم تكن في الحقيقة تتوقع منه شيئاً، وكونه توجه إلى

حقيبة اوراقه، يعني ان ثمة شيئاً في ذهنه يتعلق بعمله من ناحية ما، وربما كان فكر في شيء يمكنه مراضاتها به، ورأت ليزا انه على الاقل كان يحاول وفي هذا شيء من التغيير، رغم ان هذا لم يكن من طبيعته.

فقد كان توقعها اي شيء من كين ماريوت مجرد اوهام.

«ليزا.»

التفتت اليه عند سماعها لهجته النافذة الصبر وهو يسألها:«الا تريدين ان تري؟»

«قلت انك ستريني.»

«وهذا ما فعلت، تفضلي.»

نظرت اليه مقطبة الجبين وقد تشوش ذهنها إزاء هذه الكلمات.

ولكن ما رأته لم يكن شيئاً يمكن ان تتوقع من كين ان يختاره، كان عبارة عن سلسة ذهبية يتدلى منها حجر كريم ارجواني اللون محاط باللآلىء، وذلك بشكل بديع قديم الطراز، لم يكن متألقاً او مبهرجاً بشكل واضح ملفت للنظر، ولكنه كان رائعاً بالغ الرقة. كانت غير مصدقة وقد افعم قلبها سروراً.

قال لها:«لقد نظرت إليه في واجهة المتجر ثم خطرت انت ببالي. انما لا تسأليني لماذا، فقد شعرت بأن علي ان اشتريه لك، وهكذا فعلت.»

ثم نظر في عينيها ليرى تأثير ذلك عليها ثم سألها بخشونة:«هل اعجبك، يا ليزا؟»

فاغرورقت عيناها بالدموع من دون إرادة منها وخنقتها غصة فلم تستطع ان تتكلم، الازهار اولاً، والآن هذه... كانت هذه غير عادية... لانها كانت تعبر عن طريقة تفكيره فيها... كم كانت مخطئة، مخطئة إلى حد فظيع، ومخطئة الى حد رائع لأن كين ربما كان يحبها بطريقته الخاصة.

وتدفقت دموعها من بين اهدابها الكثيفة، عضت شفتها محاولة ان تبتلع ريقها، بينما الدموع تستمر في التدفق على وجنتيها وهي تحدّق في كين الذي تملكته الدهشة، «ليزا؟»

لم تستطع ان ترى وجهه جيداً من خلال دموعها، ولكنها سمعت صوته وهو يسألها:«لماذا تبكين يا ليزا؟»

لم تبك قط من قبل، وخصوصاً امام كين، مهما كان الالم الذي كانت تشعر به احياناً، لقد كانت كرامتها ترغمها على الظهور بمظهر القوة والصلابة، لانه هو كان قوياً، ولكن هديته هذه ورقته اوهنتا منها العزيمة، لتنطلق الحقيقة من بين شفتيها:

«كنت اظن... كنت اظن انك ترفع في شأني وتحطمني حسبما يلائمك ذلك، وانك لا تفكر بي عندما لا نكون معاً.»

لم يقل شيئاً... بماذا كان يفكر؟ لم يكن لديها فكرة، ولكن هذا لم يبد لها مهماً.

واخيراً هدأت مشاعرها فنظرت اليه، بدا وجهه عابساً فبادلها النظرات وقد بدا الإنزعاج في عينيه، وتساءلت هي عما إذا كانت اثارت في نفسه شعوراً غير مرغوب فيه. لم يكن يريدها ان تخطىء في شيء. اندفعت تقول:«انا آسفة. شكراً يا كين.» لم تكن تريده ان يشعر بالأسى في الوقت الذي جعلها تشعر فيه بالسعادة.

تنهد قائلاً:«اننا بحاجة الى تناول الطعام دون شك.»

وبعد حوالي ساعة، كانا ينطلقان الى المطعم. وكانت هي طوال الطريق تتلمس السلسة في عنقها، كان الوقت منتصف الشتاء وكان الهواء قارساً بالنسبة لدفء البيت، ولكنه جعل احاسيس ليزا نابضة بالحياة.

كانت ليلة رائعة الجمال، قد سطعت النجوم في السماء والنسائم تحرك اوراق الشجر على طول الطريق. وكين بجانبها، وبعد، فهذه العطلة الاسبوعية لن تكون مزعجة، كما كانت تظن وإنما اجمل عطلة في حياتها.

john lee

الفصل السادس

كان مطعم ليشيو منزلاً قائماً على تلة، قد جدد لكي يناسب احتياجات المطعم، كان فيه قاعتا طعام، واثناء فصل الصيف تصبح ثلاثاً، وذلك باستعمال الحديقة الخلفية، اما الديكور فكان متواضعاً، وكان اللون الوردي مسبغاً على الجدران واغطية الموائد وستائر النوافذ المشرفة على الشارع. كانت الانغام الموسيقية تتجاوب في انحاء المكان، وكان الخدم ودودين، بالغي العناية. والخدمة ممتازة، وكذلك الطعام وكان المكان بجملته ساراً للغاية.

استقبل النادل كين وليزا عند الباب ثم رافقهما إلى المائدة الوحيدة الخالية في القاعة الامامية وعندما جلسا ، توقفت الاحاديث التي كانت تدور بين الزبائن، فقد كان كين معروفاً في هذه المنطقة حيث انه كان قد اقام منشآت عديدة لمشاريع عامة وكان دوماً يجتذب انظار الناس بفضول.

لم يبد على كين انه تأثر بنظرات الناس، اما ليزا فقد كانت تعي دوماً معنى هذه النظرات التي تدل على الحسد والفضول وكذلك الاحترام، كان ذلك في البداية يجعلها تشعر بعدم الاطمئنان وكان هذا يساهم في

john lee

جعلها تخضع لقواعد كين، لانها كانت تخاف دوماً من انها إذا لم يكن راضياً عنها، فهناك غيرها وهكذا كما ادركت ليزا، كان هذا هو السبب في مشكلاتها مع كين، والتي كانت تختزنها في اعماقها الى ان طفح منها الكيل هذه العطلة الاسبوعية.

كان ذلك قد سبب عدة مواجهات بينهما، ولكنها كانت دوماً هي التي تتراجع، متنازلة عن مطالبها بدلاً من فرضها القوة. ذلك انها اذا ارادت استمرار خطوبتها، لم يكن امامها خيار آخر، اذ ان كين ماريوت لم يكن يعرف الإنحناء، ولا كان من الممكن إقناعه، فقد قرر وانتهى الامر.

حتى هذا النهار. كان ثمة شيء مختلف، لم يكن هذا يعني ان كين كان اقل حزماً وقساوة وإنما كان ببساطة يقرر دوماً اموراً لم تكن تنتظرها منه مطلقاً.

حتى الآن بالنسبة اليه، كانت ليزا هي المرأة الوحيدة في المطعم، كان جالساً امامها، وعدا عن نقاشه مع النادل في انواع الطعام، كان كل اهتمامه منصرفاً اليها، كان يبتسم دائماً لكل ما تقوله، وكان السرور مرتسماً على ملامحه لجلوسه معها، وكانت تشعر بوجهها يتوهج سعادة.

كان الطعام شهياً كالعادة، دهشت ليزا وهي ترى

شهيتها كبيرة للغاية، وقد مضى وقت طويل منذ تناولت الغداء

سألته:«كيف تجد الطعام في فيكتوريا؟»

«لم انتبه، كان طعاماً، وهذا كل شيء.»

يعني انه كان وقوداً يساعده على الاستمرار على قيد الحياة، فقد كان العمل هو همه الوحيد، وبإمكان ليزا ان تتصوره غير منتبه الى اي شيء آخر.

«هل انتهت المشاكل الرئيسية الآن في ناحية البناء؟»

«لقد انتهى الاسوأ، واجتياز الازمة سيستغرق بعض الوقت، ثمة كثير من الناس يريدون تسوية الامور، وهذه ليست هي الطريقة لإنجاز الاشياء.»

كانت تعلم انها ليست طريقة كين، ولكنها ايضاً ليست طريقة احد، إذا كان يبغي النجاح، وكانت ليزا تقدر ذلك من خلال اتصالها اليومي بجاك كونواي. المشكلة مع كين كانت في نقل هموم عمله الى حياته الخاصة، ومن ناحية اخرى. كما رأت ليزا، ربما ذلك النوع من هذه المقدرة جاءت فقط من رجل قد تأصل هذا في طبيعته.

اخذت تتساءل كيف يسير جاك كونواي في حياته الخاصة، كل ما كانت تعرفه هو انه متزوجاً منذ ثلاثين عاماً، وموضع زوجته دائماً في الاولوية عنده، وقد سمعته مرة في جدال يقول ان الطلاق هو

غباء، وتصورت ليزا كين ربما يفكر بنفس الطريقة فالإعتبارات المالية تحكم دوماً عالم كين.

لكن ليزا عادت تذكر نفسها بسرعة بأن هذا ليس الاعتبار الوحيد لدى كين ماريوت، فثمة اسباب كثيرة لديه للاحتفاظ بمسيرة الحياة الزوجية، عدا عن مجرد الرغبة في صيانة ماله، فقد كان كين انتاج زواج محطم، فهو يكره الطلاق بمرارة، وما اصبح عليه الآن لم يكن سوى نتيجة لما كان حصل بين والديه، وكانت ليزا واثقة من ذلك.

ومع انه لم يأت قط على سرد قصة حياته بالتفصيل، الا ان تعليقاته اللاذعة التي كانت تصدر عنه من حين لآخر، جعلتها تتكهن بالمأساة التي سارت بها حياته، وحياة شقيقته، ولا شك ان كين ما كان ليفرض ذلك النوع من العذاب العقلي والعاطفي على اولاده عندما يتزوج، ذلك ان التزامه هو بقساوة الصخر. وتمنت لو يتحدث بوضوح عن حياته، سألها كين فجأة والفضول يظهر من عينيه:

«ما الذي يجعلك تتشبثين بي يا ليزا؟»

أجفلت لهذا السؤال المباشر، ليس من عادة كين ان يجس مشاعر الآخرين، وفكرت في الامر عدة لحظات، ثم سألته: «اتريد الحقيقة؟»

«نعم.»

«انه لا يهم مثقال ذرة.»

«بل اظنه مهماً.»

حدّق في عينيها بعنف: «اننا ما زلنا معاً، اليس كذلك؟ انا وانت يا ليزا وعلى الدوام.»

تمتمت تقول وقد شعرت بأن قلبها توقف عن الخفقان:«انا...انا لا ادري ما علي ان اقول.»

قال بلهجة آمرة:«لا تفكري، بل قولي :نعم، يا كين، سأتزوجك...»

ولكن الامر لم يكن سهلاً بهذا الشكل. ووجدت ليزا ان من الصعب استيعابه، وخطر ببالها فجأة ان هذا هو سبب حضوره هذه العطلة، وسبب اهميتها، ولماذا كانت مختلفة عن غيرها، ولماذا قام بكل ما قام به من اشياء لم تكن تتوقعها، ولماذا كان متوتراً بهذا الشكل، وغاضباً ومنزعجاً لتصرفاتها.

كان كل شيء يمهد لعرض الزواج، فقد كان سبق وقرر ذلك، وإذا بها تفسد كل شيء، حسب عادتها، الزواج!

بقي الذهول مسيطراً على ذهنها، ما جعل اي تفكير عقلاني، مستحيلاً، قال قلبها:نعم، وقال عقلها: انتظري.

لقد سبب لها قلبها كثيراً من الوحدة والالم مع كين ماريوت. توسل اليها قلبها بأن كين كان يتغير

ويقوم بتنازل ويرعاها، لقد هتف بها ان تلقي بالحذر جانباً وتتقدم نحو المجهول، وان تكون شجاعة، وتتمسك بهذه الفرصة التي تجعلها تحقق كل ما تريده مع هذا الرجل.

اما عقلها فيقول انهما بحاجة الى قضاء مزيد من الوقت معاً قبل ان يتخذا التزاماً حياتياً كهذا، مزيداً من الوقت لكي يتأكدا من انهما على صواب، ومن اعماقها المضطربة سألته:«لماذا؟»

ذلك ان كين لم يفعل شيئاً قط من دون سبب، فهناك دوماً سبب، فما هو السبب الذي يجعله يتزوجها الآن، إذن؟ ولماذا قرر هذا فجأة بعد ان مرت على خطوبتهما سنة كاملة؟ وهل قرر هذا اثناء هذه العطلة الاسبوعية ام قبلها؟

اجابها بلا تردد:«اريدك زوجة لي، اريد ان يكون لي اولاد منك، اريدك بجانبي بقية حياتنا.»

هكذا، بكل هذه البساطة والوضوح، تم الاختيار، وصدر القرار.

(لدي رؤيا لما اريده) كانت هذه هي الكلمات التي كان كين قالها في السيارة عندما سألته ان كان لديه خطة لقضاء هذه العطلة الاسبوعية، وكانت ظنت حينذاك، انه يشير بها إلى اعماله، ولكنها في الحقيقة، ما كان في ذهنه، الا الزواج بها، وتساءلت

عما إذا كان قد حدد مسبقاً تاريخ تنفيذ قراره هذا.
سألته:«اظن لديك فكرة عن الوقت الذي سيجري فيه هذا الزواج؟»
اجاب بلهجة الأمر الواقع:«مدة اسبوع او نحوها.»
كان يعني بهذا مكتب تسجيل الزواج من دون اي اضافات بطبيعة الحال، ومن دون استشارتها عما قد ترغب فيه بالنسبة لحفل الزفاف او ما اشبه.
قالت:«كلا.»
بدت عليه المفاجأة، وسألها:«ما الذي تعنينه بهذا؟»
قالت بحزم:«اعني انني اذا قررت الزواج منك، وهذا لا يعني انه مازال امر مؤكد، فهو بالتأكيد، لن يتم خلال اسبوع.»
«اعطني سبباً جيداً لعدم امكانية ذلك.» كل ما كانت ليزا تختزنه من استياء لتصرفات كين تجاهها، قد طفا إلى السطح مرة اخرى، فقالت عابسة:«لانني اقول هذا.»
فقال عابساً هو ايضاً:«هذا ليس سبباً.»
«عفواً يا سيدي...» وكان هذا النادل قد جاء محضراً النوع الاول مما طلباه، وضع طبقها امامها، ثم وضع ما طلبه كين لنفسه من الكافيار والقريدس امام كين، واثناء ذلك كانت ليزا قد تمالكت نفسها،

متذكرة ان كين ربما لم يقصد ان يجرحها، فهو قد ظن ان طريقته معقولة للغاية.
ابتعد النادل، وكان كين قد ارغم نفسه اثناء ذلك على الاسترخاء فقال بلهجة هادئة: «ما هو الاعتراض الذي لديك يا ليزا؟»
بدا الحذر في عينيها:«اذا نحن تزوجنا يا كين فأنا من يقرر الموعد ويرتب امر الزفاف.»
رقت ملامحه وقال بأسف:«كنت اظنك مثلي، تتعجلين الامر قدر الامكان.»
لم تكن ليزا تستطيع ان تتصور ان ثمة امرأة لا تريد زفافاً كبيراً مع كل ملحقاته التي طالما حلمت بها، وهي لن تسمح لكين بأن يخادعها لتترك ذلك، لانه ليس الطراز الذي يريده، ان عليه ان يبدأ بإدراك ان هناك فروقاً بين النساء والرجال.
«اظنني مندفعاً هذا النهار.»
«هذا صحيح تماماً.» قالت ذلك متأثرة، فقد كان قد سبب لها تشتتاً في الافكار، ما جعلها تفقد شهيتها للطعام.
«انني آسف.»
فاتسعت عيناها دهشة، هل هذا اعتذار آخر من كين؟ انه يتغير حقاً، انها لم تسمعه يعتذر من قبل لأي انسان، قبل اليوم.

فقالت:«وأنا آسفة ايضاً.»

«لماذا؟»

«لانك لم تفهمني بشكل افضل.»

هذا بينما حدثت نفسها بأنها قد تكون مخطئة بقدره، فقدكان عليها ان تثبت شخصيتها اثناء الشهور الماضية، بدلاً من خضوعها وضعفها إزاء كين في السماح له بأن يدير الامور حسب رغبته.

هز رأسه عدة مرات يزن كلماتها في ذهنه، ثم سألها:

«هل هذا يعني موافقتك على الزواج؟»

«انني افكر فيه.»

كان في تغير معاملة كين لها ما شجعها على التفكير.

امسكت بالشوكة تتناول بها الطعام شاعرة فجأة بشهيتها تعود اليها، ما يجعلها تستمتع بمذاق الطعام، لقد اخذ الآن قلبها يخفق لعرض كين، بعد ان هدأت الصدمة، ولكن عقلها كان منشغلاً للغاية.

ربما كان كين ماهراً في اللجوء الى المناورة إزاء اي واجهة بينما هو مصمم على الفوز، ربما لم يكن يهمه شعورها كثيراً، قد ما يهمه الوصول إلى ما يريد، وبأي وسيلة، وذكرت نفسها بأنه قد يكون قاسياً في ذلك ولكنه لا يتخلى عن النزاهة، عليها الا تنسى

ذلك، واخذ قلبها يخفق وهي تفكر في ان كين يريدها معه بقية حياتهما.

سألها وهو يلتهم الطعام بشهية بالغة:«ما الذي تفكرين فيه يا ليزا؟»

القت عليه نظرة حادة:«هناك الكثير... مثل كيف ستكون بقية حياتي معك.»

اجاب:«انها ستكون بالشكل الذي نصنعها به كغيرها من الامور، ان هذا يعود إلينا نحن.»

فقالت:«هذا يستوجب التزاماً من الاثنين.»

«ان كوني عرضت عليك الزواج يمثل التزامي.» لم تكن تستطيع المجادلة في هذا، فقد كانت هي الحقيقة، فعندما يقرر كين امراً، فهو يلتزم به، ولكن الموضوع هو، كم من العطاء هو مستعد لتقديمه لكي ينجح زواجهما؟فما يرضيه قد لا يرضيها، فقد حدث هذا في الماضي، وهي قد سبق واكتشفت ان حبها له ليس ضماناً للسعادة.

قالت له وقد بدا في صوتها شيء من الاستياء:«انك لم تتعرف إلى اسرتي بعد.»

أجاب باختصار:«انني لن اتزوجهم هم، بل سأتزوجك انت، دعينا لا نخلط الامور.»

اصرت بقولها:«انني لن اقاطع اسرتي، يا كين. لا اريد ان تقول بأن علي الا اهتم بأسرتي لمجرد انك لا

تهتم بأسرتك، فإذا شئت ان تتزوجني، عليك ان تقبل فكرة انها جزء من حياتي، وبالتالي ستكون جزءاً من حياتك انت ايضاً.»

قطب جبينه فهو لم يفكر في هذا الامر من قبل. ايضاً.

«إذا كنت تحبين اسرتك الى هذا الحد...»

فقاطعته ضارعة:«اتريد ان يقاطعنا اولادك عندما يتزوجون؟»

ازداد عبوساً، اذ يبدو ان افكاره لم تصل الى ذاك الحد، بدا عليه الاندهاش وهو يقول:«كلا، لا اريد ان يحدث ذلك.»

فقالت:«ان اسرتي هي غالية عليّ كذلك.»

قال باقتناع:«لا بأس، سأقابل اسرتك في الوقت الملائم، في هذه العطلة الاسبوعية، إذا شئت، إذا ارادوا ان يتعرفوا عليّ، ولكن عليهم ان يقبلوا بي، كما انا، يا ليزا.»

كان واضحاً انه لا يثق بالاهل ولا بمواقفهم، ومرة اخرى تمنت ليزا لو تعرف المزيد عن نشأته. ولكنها كانت تعلم ان التطرق الى هذا الموضوع لا جدوى من وراءه.

فقالت بهدوء:«ان والديّ لا يتدخلان مطلقاً في اموري الشخصية، يا كين، انهما سيرحبان بك في الاسرة مهما كان رأيهما بك، إذا انا اخترتك زوجاً.»

بدت القسوة في نظراته:«إذاً، يا ليزا؟»

بادلته النظرة من دون ان يطرف لها جفن وهي تقول:«انني لم اقل نعم بعد، يا كين.»

«ولماذا لا تقولينها، إذن؟»

قالت، شاعرة بالاضطراب لهذا الإلحاح منه:«ان بيننا اشياء كثيرة غير محلولة بعد، وانا افضل الانتهاء منها قبل الزواج، وليس بعده.»

توترت ملامح كين، ولمعت عيناه بالكبرياء:«كلا، لا اريدك ان تضعيني تحت التجربة، يا ليزا، فأنا لا اريد ان اكون معلقاً، اما ان اكون رجلاً مناسباً لك او لا اكون.»

فقالت كارهة:«سأفكر في ذلك.»

بدا العزم وعدم اللين على ملامحه وهو يقول:«ليس عليك ان تفكري في هذا الامر، فإما انك تريدين الزواج مني او لا تريدين، فإذا كان عليك ان تفكري في هذا الامر، فلا تقدمي عليه إذن.»

قالت بلهجة العتاب:«ولكن هذا غير منطقي.»

لكنه لم يتزحزح عن موقفه:«قرري الآن يا ليزا.»

انه كين الحازم الذي لا يتردد، ولكن الحق كان معه، فكل التفكير في العالم لن يغير من الامر شيئاً، فإذا لم تتزوجه فستندم، دون شك، على ذلك ايضاً طوال حياتها، وبدا لها الاحتمال كئيباً للغاية، وهو ان كل ما ستفعله لن يكون صواباً.

كانت تعلم ان هذه هي آخر عطلة اسبوعية يمضيانها معاً، ولن يكون ثمة استمرار لمثل هذه العلاقة التي كانت بينهما، ولم يكن هذا يعني انها كانت تريد ذلك، فقد كان هذا هو سبب رغبتها في جعل هذه العطلة الاسبوعية النهاية لذلك. ولكنها لم تكن تحلم قط بهذا التطور في كين.

رفعت اليه عينين متشككتين، ثم همست بصعوبة والغصة تخنقها:

«هل تحبني، يا كين؟»

نظر اليها، اتراها رأت في عينيه لمحة من ضعف، ام هي تخيلات منها؟ ثم قال برقة:«ليزا، ان بإمكاني ان امنحك من نفسي اكثر مما منحته قط، او سأمنحه لأي انسان آخر، فهل في هذا جواب لسؤالك؟»

في الواقع، لم يكن هذا جواباً على سؤالها بل على بعض الاسئلة، تاركاً اشياء كثيرة اخرى معلقة في الهواء، وسمعت نفسها تقول:«نعم.» وكانت تفكر في مقدار ضعفها امامه، انها ستكون اكبر حمقاء في العالم إذا هي رضيت بالقليل الذي يقدمه اليها كين، ومع ذلك فقد كان الحق معه وهو يقول:«اذا كان عليك ان تفكري في هذا الامر، فلا تقدمي عليه إذن.» وأخيراً كان لقلبها الكلمة الفاصلة، فهي له وستكون له على الدوام مهما خبأ لهما المستقبل.

«هل قلت (نعم) للزواج مني؟» كان كين يريد ان يتأكد منها نهائياً، وبوضوح تام.

«نعم.»

وهكذا قالتها، خطرت ببالها لحظة كلماتها له في الهاتف، هذا الصباح، ساخرة من هذا القرار الذي اتخذته لتوها، ما الذي صنعته؟

لقد كانت استبدلت بالفراغ القاتم في حياتها غيوماً رمادية قد تكون مبطنة بلون فضي... هذا ما صنعته.

وعندما استقر في ذهنها هذا الجواب، بدد الامل اليأس في نفسها وخفف من شكوكها.

استراح كين في كرسيه وقد لاحت على شفتيه ابتسامة خفيفة، بدا وكأن الاضطراب والإحباط والارهاق، كل ذلك قد فارقه، وبدا الانتعاش والنشاط عليه وقد احاطت به هالة من الرضى.

قال برقة:«بقدر ما يمكن من السرعة؟»

وحدثت نفسها عما يمنع ذلك والأمر قد تقرر سواءً كان للافضل ام للأسوأ، فقالت: «ستة اسابيع هي اقل ما يمكن.»

«ستة اسابيع. إذن؟ هل معنى ذلك ان اتحمل عناء انتظار الزفاف مدة ستة اسابيع؟»

فقالت بإصرار:«وملحقاته ايضاً.»

«ان شروطك صعبة، يا ليزا.»

«وكذلك شروطك، يا كين ماريوت.»

«انها متماثلة إذن.»

تنهدت:«لدي شعور بأننا سنتقاتل على الدوام عند حدود معينة لا ينبغي تجاوزها.»

«آه، ولكنني واثق من اننا سنتفق في نهاية الامر.» وبدت في عينيه نظرة تفصح عن ان حبهما سيجعل من كل قتال بينهما قصير الامد.

أشار الى النادل الذي اقبل على الفور، فأمره برفع الاطباق وإحضار المرطبات، ربما لم تكن ليزا تهدف إلى الرفاهية في حياتها، ولكنها كانت تعلم ان هذا لا يفيدها بشيء، إذا لم تكن سعيدة مع كين. ان على زواجهما ان ينجح. اخذت تحدث نفسها بذلك متذكرة قول كين ان نجاح هذا راجع اليهما، فالزواج الناجح يصنعه الزوجان معاً.

قالت تذكره: «هذا راجع الينا.» وتذكرت ما كان قاله مرة بأنه اختصاصي في قهر الصعاب. انها واثقة الآن من انه لن يدع زواجهما ينهار اذا كان بإمكانه إنقاذه، وجعلها تفكيرها هذا اكثر ثقة في المستقبل.

قال:«انا موافق على ان ذلك راجع الينا.»

نظرت اليه، كانت تحب هذا الرجل رغم كل شيء، وفكرت في انه إذا غرق زواجهما... حسناً ليس هناك رجل آخر تفضل ان تغرق معه...

وكان هذا يثبت لها رأيها في مبلغ حماقتها، فبدلاً من ان تتصرف بتعقل وتقطع علاقتها به، هذه العطلة الاسبوعية، إذا بهما يتزوجان. نظرت في عينيه، يساورها امل يائس. «اترانا نحن الاثنين، سنندم على عواقب هذا القرار؟»

فكسا ملامحه عبوس ساخر، وقال:«اشك في هذا ولكنك تعلمين كما اعلم... ان علينا ان نحاول.»

john lee

john lee

الفصل السابع

مساء الاحد، اوصلت ليزا كين الى المطار لكي يستقل الطائرة الى ملبورن، لم يكن قد قابل والديها اثناء هذه العطلة، إذ قررت ليزا ان من الافضل ان تعدهما لذلك اولاً، وذلك افضل من مفاجأتهما بكل شيء مرة واحدة.

كان ذهنها ما يزال غارقاً في دوامة من عدم التصديق والبعد عن الواقع، لقد كانت في بداية هذه العطلة الاسبوعية، لاتفكر الا في قطع علاقتها بكين ماريوت. وفي نهايتها كانت قد عاهدته على الزواج طوال الحياة.

وتساءلت عما إذا كانت النساء جميعاً تمر في مثل هذه المشاعر في فترة الخطوبة، ذلك ان كل امرأة سيكون عليها ان تعلم ان حياتها لن تعود ابداً كما كانت.

ودعها كين بنفس اللهفة والشوق اللذين استقبلها بهما منذ يومين، وهو يقول:«من الآن فصاعداً عليك الا تفكري في احد غيري.»

قال ذلك بابتسامة صغيرة جافة، ولكن عينيه كانتا جادتين للغاية.

فقالت: «أنا لا اريد ذلك، يا كين، فقد وعدتك بألا افكر في غيرك.»

صعدت ابتسامته الى عينيه تغمرانها بالحنان. لقد اقسمت ليزا على الا تمنحه سبباً يجعله يشك في اخلاصها له، فقد كانت نوهت به عن (شخص آخر) يوم الجمعة الماضية مازال في باله، وبدا غريباً في نظرها ان رجلاً بالغ الثقة في نفسه مثل كين لم يتخلص بعد من عامل الغيرة التي تملكته لقولها ذاك، ولكنها تكهنت بأنه لا يثق بالآخرين، حتى بها هي.

شعرت بشيء من الكآبة لهذه الفكرة اثناء عودتها إلى شقتها التي تعيش فيها مع شقيقها، لقد قال لها كين بإمكانه ان يمنحها من نفسه اكثر مما يمنح اي شخص آخر، ولكن الألم كان يتملكها وهي ترى انعدام ثقته بها، ربما كان هذا نتيجة كونه قاسى كثيراً في حياته. ان ما عليها القيام به الآن هو ان تقنع كين بأنها ستقف الى جانبه مهما كانت الامور.

كانت شقتها واحدة من شقق كثيرة في مبنى كبير في منطقة بوندي ولا تشبه شقة كين بشيء، وعندما دخلتها في تلك الليلة، نظرت حولها وهي تفكر في انها اشبه بكابوس. لقد كانت هي وشقيقها طوني،

قد جمعا قطعاً غريبة من الاثاث واضافا اليها ما كان يعجبهما في اوقات مختلفة ولم تكن منسجمة متآلفة، ولكنها كانت مريحة.

عندما يكون طوني في البيت تسود الفوضى في المكان بشكل دائم، ولكنه الآن منظم للغاية. ذلك ان ليزا استقلت بالشقة لنفسها لمدة عشرة ايام، الى حين عودة شقيقها من لندن بعد زيارته القاهرة وسنغافورة. وتمنت لو انه هنا فقد ارادت ان تشارك احداً في سعادتها. فقد شعرت بنفسها منفصلة عن كل شيء وبشكل غريب، وكأنها كانت بين عالمين، وكان شعورها بالوحدة بالغاً.

اتصل بها كين من ملبورن ليتمنى لها ليلة سعيدة فخف لديها الشعور بالوحدة. ان كين يفكر فيها... فهو يحاول.

كان الخلاف الوحيد بينهما اثناء اليومين الماضيين على خاتم الخطبة فتبعاً لقرار كين، كالعادة، اوصى بإنجازه صباح السبت، وقد اعترضت ليزا بشدة فإذا كانت احواله المالية في تراجع، كما قال فهي لا تريده ان ينفق لاجلها مبلغاً ضخماً.

ولكن كان لكين رأي آخر، فقد قال بلهجة لاذعة:

«في الحياة ظروف يصبح فيها المال خارج الاعتبار.»

وهكذا كان، فاختار ياقوتة زرقاء رائعة الجمال محاطة بأحجار الماس، واغلقت ليزا اذنيها كيلا تسمع ثمنها، فقد كان من الافضل الا تعلم.

كان ينبغي تغيير حجم الخاتم، وهكذا رتب الامر بحيث تأتي لأخذه من متجر المجوهرات براودز يوم الثلاثاء، ولم تشأ ليزا ان تخبر احداً بزواجها قبل ان يصبح خاتم كين في اصبعها، فقد بقيت تفكر انه اذا حدث شيء فوق العادة، فإن بإمكانها ان تغير رأيها، وهكذا كين ايضاً.

ويوم الثلاثاء بعد الظهر، احضرت الخاتم من المتجر ووضعته في اصبعها شاعرة بأنها قد اصبحت مخطوبة حقاً. اتصل بها كين هاتفياً تلك الليلة ليسألها ان كانت احضرته ثم سألها:«الم تتحدثي مع والديك بعد؟»

«كنت على وشك القيام بذلك.» قالت ذلك كيلا تترك لديه اي شك على الاطلاق.

«إذاً انت جعلت موعد الزفاف بعد سبعة اسابيع بدلاً من ستة، يا ليزا ، فسيكون لدي وقت كافٍ آخذك فيه الى شهر عسل حقيقي، اتحبين هذا؟»

اغرورقت عيناها بالدموع، ان كين يحاول بعث السرور في نفسها حقاً، واجابته:«نعم، احب هذا

كثيراً. شكراً لك، سأخبر والدتي ووالدي، احسب عندك سبعة اسابيع.»

عندما اخبرت والديها، كانت رد الفعل لديهما تتراوح بين الدهشة والسرور واللهفة للتعرف إلى الرجل الذي ستتزوجه ورتبوا الامر بحيث تأتي مع كين لتناول الغداء نهار الاحد.

أما رد الفعل التي لم تكن تنتظرها فكانت من رئيسها في العمل جاك كونواي، ذلك ان السرور لم يظهر عليه، وإنما بدا عليه الارتباك كلياً، وتساءلت عما إذا كان قد ظن بأنه على وشك ان يخسرها، ما يتوجب عليه إيجاد موظفة بديلة لها، ولكنها سرعان ما اكتشفت ان هذا ليس ما كان يفكر فيه.

قال لها فجأة وعيناه الفولاذيتان مسمرتان على وجهها:«انك تدركين بأن وضعك في الشركة حساس، اليس كذلك يا ليزا؟»

بادلته ليزا النظر من دون ان تفهم شيئاً:«آسفة، فأنا لم افهم.»

«بصفتك سكرتيرتي يسهل عليك الوصول الى المعلومات المتعلقة بمشاريع وينجيكامبل وجيسامين، وتلك المعلومات التي ستظهر هناك ستجعل كين ماريوت في مركز يمنحه تفوقاً كاسحاً على منافسيه.»

فقالت تدافع عن كين بحرارة:«انه لم يسألني عنها ابداً.» وبعد، فقد كانت لديه الفرصة ليضغط عليها اثناء العطلة الاسبوعية لكي تخبره عما حدث في اجتماع يوم الجمعة، ولكنه لم يفعل، وتابعت تقول بمزيد من الحرارة:«حتى ولو سألني، فلن اعطيها له.»

تبددت الشكوك ولكن بقيت في عينيه نظرة حادة عنيفة:«قد لا يحدث هذا، ولكنني ارى ان انقلك الى مكان آخر.»

لم يكن جاك كونواي، وهو المدير المنفذ للشركة الدولية المختلطة يقبل المغامرة بسمعته ومهما كانت فائدة ليزا له في الماضي، فهي ليست سوى سكرتيرة.

شعرت ليزا انها طعنت بنزاهتها، واستقامتها، فقالت والكبرياء تتألق في عينيها:«لا اريد ان افقد عملي، يا سيدي.»

«انه تضارب المصالح، يا ليزا.»

فأصرت قائلة:«لن يكون هناك اي تضارب.» لم تشأ ان تغير عملها، فهي تحب مكانها هذا وعملها فيه والمسؤولية الملقاة على عاتقها. بدا الشك على وجه جاك كونواي!

«إنني اكره ان اعرضك لاحتمالات حدوث شيء، يا ليزا، بدلاً من ان تكوني فرداً مفيداً هنا.»

قالت بعناد:«هذا لن يحدث.»

نظر الى وجهها المتوهج عدة لحظات، ثم قال:«سأفكر في الامر.» ولكن من الواضح ان هذا الوضع كان يزعجه. كما انه ازعج ليزا. ولاول مرة اخذت تتساءل عما إذا كان كين ماريوت قد فكر في الزواج منها لكي يحصل على معلومات يراها بالغة الاهمية لعمله، ولكنها ما لبثت ان نبذت هذه الفكرة، حقاً ان كين كان متطرفاً، ولكن ليس الى هذا الحد.

عندما اتصل بها كين تلك الليلة، كانت هي قد نفت هذه الفكرة من رأسها كلياً، فقد كان لديها اشياء اكثر اهمية بكثير لتفكر فيها. مثل اجتماع كين بوالديها، وترتيبات الزواج.

* * *

كانت زيارتهما لوالديها ناجحة تماماً. فقد كان تأثير كين عليهما كبيراً. فهو وسيم ناجح يبدو عليه الثراء، وقد احسنت ليزا باختياره، فقد كان ذلك واضحاً على وجهيهما، ومع ان ليزا كانت واعية للتحفظ الداخلي لكين، الا انه اظهر ظرفاً جعل الحديث بينهم اكثر سهولة.

لكن عندما تطرقوا الى ترتيبات الزواج، اخذت الامور في التعقيد، لقد وافق كين، بكل سهولة على اي شيء ارادته ليزا واسرتها، اما الصعوبة فكانت في انه لم

يكن لديه من عائلته احد يدعوه الى الزفاف، فحسب اعتباره، كان زواجه من ليزا مسألة شخصية لا تخص سواهما، هما الاثنين.

سألته ليزا محتجة:

«حتى ولا فرد واحد من اسرتك؟»

فكانت كلمة (كلا) من كين واضحة تماماً، وتغاضت ليزا عن الصمت الذاهل الذي تلا ذلك بما امكنها من السرعة، ولكنها شعرت بالغضب من كين لعدم تساهله بالنسبة لهذا الموضوع على الاطلاق، كان قد تركها تتصرف، بالنسبة لحفلة الزواج كما تشاء، ولكنه كان يتصرف حسبما يشاء، هو ايضاً، لقد ارادها ان تتزوجه، وهذا ما كان، نظرة واحدة الى ملامحه المتحجرة كانت تحذيراً كافياً لليزا بأن هذه احدى قرارات كين والتي هي (خذيه او دعيه) ولا مجال للنقاش.

بعد ذلك جاءت اليها والدتها قائلة، ان من المؤكد ان حفلات الزفاف هي من المناسبات التي يتصالح فيها المتخاصمون من افراد الاسرة، انه جفاء اثيم يبعث على الخزي، ورغم انها تعلم ان الطلاق يجعل الاولاد عديمي الصفح، افلا يمكنها هي ليزا، ان تتكلم مع كين في هذا الشأن؟ من المؤكد ان والديه لا يريدان لهذا الصدع ان يستمر. ثم ماذا بالنسبة الى شقيقته؟ ألم تخبرها ليزا ان كين لديه شقيقة؟

فكان ان قالت ليزا:«سأتحدث اليه يا والدتي.» ولكنها كانت تشك في انها ستحرز اي نجاح، فقد اصدر كين القانون، وعلى اسرتها ان تقبل به كما هو، ولكن ليزا فكرت في ان شقيقة كين قد تحب ان تحضر الزفاف، فقد كان يزورها احياناً، افلا تجرح كرامتها إذا لم يطلب منها الحضور؟

في طريقهما عائدين الى المدينة، قررت ليزا ان تتطرق الى الموضوع، وعلى كل حال فإن الدعوات يجب ان ترسل بالبريد هذا الاسبوع، كل شيء يجب ان يتقرر.

ابتدأت تقول مترددة:«كين ان شقيقتك...»

فقاطعها بحزم:«كلا، يا ليزا.»

تنهد كين وهو ينظر اليها:

«ان والديك شخصان طيبان، ما يجعلني افهم السبب في رغبتك في دعوة اسرتك لكي يحضروا حفل زواجك، وان تستمر علاقتك بهم، ولكن هذا غير ممكن بالنسبة لاسرتي، صدقيني.»

قالت باستياء:«انك انت لا تريد ان تجعله ممكناً.»

اطلق ضحكة خشنة:«ليس ذلك من طرف واحد، يا ليزا، فهما يكرهانني بقدر ما اكرههما.»

«لماذا؟»

قست ملامحه وهو يقول بلهجة ارسلت قشعريرة في

جسم ليزا:«لانني جعلتهما يدفعان ثمن ما فعلاه.»

ثمة شيء غير عادي. فهذا لم يكن مجرد مأساة طلاق او اولاد محرومين من الحب، وحاولت ليزا ان تتذكر كل شيء كان كين قاله عن اسرته، ولكنه كان قليلاً جداً، كانت تعلم ان والده كان طبيباً نفسياً شرعياً بارزاً كان يقدم آراء خبيرة في المحاكم الجنائية، دوماً في مجال الدفاع.

«كان يجد عذراً لأي شيء.» وكانت هذه احدى التعليقات النادرة التي كان كين يشير بها اليه، وكانت السخرية في عينيه تجعل رأيه واضحاً، لقد كانت هناك اشياء ما كان كين ماريوت ليصفح عنها قط

لم تكن ليزا تعلم شيئاً عن والدته ما عدا انها تزوجت مرة اخرى بعد الطلاق. كما فهمت ان شقيقته كانت مريضة إلى درجة تدعو الى اليأس وكان زوجها يقوم نحوها بدور الممرض، وكانت هذه مجموعة معلومات ليزا. واخذت تتساءل عما يجعل ابنة طبيب نفسي تصل إلى حد تكون فيه مريضة اعصاب لا رجاء في شفائها، كما وصفها كين.

قالت ليزا بهدوء:«اظن من الافضل ان تذكر ما فعلاه، وما فعلته انت، يا كين.»

«دعي عنك هذا فقد اصبح من التاريخ.»

«لقد قبلت مراوغتك لي بالنسبة الى اسرتك مدة عام،

يا كين، وقد قبلته لانه لم يكن لي حق بمعرفة ذلك، ولكن من حقي الآن ان افهم الرجل الذي سأتزوجه.»

فنظر اليها بجانب عينه.

«الا تفهمين الرجل الذي ستتزوجينه؟»

«ليس دائماً.»

قال ساخراً من نفسه:«ولا أنا.»

«الا تظن ان عليك ان تخبرني بما حدث؟» اصرت ليزا على قولها هذا مصممة تماماً هذه المرة على ان لا تقبل منه اي مراوغة.

فهز كتفيه:«انها ليست قصة جميلة.»

«لست بحاجة الى قصة جميلة، بل اريد الحقيقة. فإذا بقيت مستمراً في استبعادي من حياتك، فأي نوع من الزواج سيكون لنا؟»

اجابها بحدة:«انه ذلك الذي يصنع معظم المستقبل.»

«انه الماضي الذي جعلك ما انت عليه يا كين، فأنت دوماً تقول او تفعل اشياء لا افهمها، انني اريد ان افهم، وقد حان الوقت لكي تمنحني هذا التفسير.»

فقطب حاجبيه:«انك لن تحبي ذلك.»

«هذا لا يهم.»

مضت لحظات صمت سادها التوتر، واخيراً قال معترفاً:«هذا صحيح، وهذا شيء احبه فيك، يا ليزا، فأنت لا تخافين مواجهة الحقائق.»

ولكنها كانت تعلم ان هذا غير صحيح، فهي تخاف، في داخلها على الاقل، ولكنها تخلت عن عادة دفن رأسها في الرمال، في العطلة الاسبوعية الاخيرة، ومع ذلك شعرت بالارتياح وهي تعلم بأن كين يحب مزاياها.

قالت مصرة وهي تذكر نفسها بألا تخاف مهما يكن ما يكشفه:«ماذا حدث؟»

استرخى في مقعده في سيارته الجاغوار، وكانت اساريره هادئة تماماً عندما ابتدأ يتكلم، وصوته جامداً خالياً من المشاعر:«اولاً، انني دمرت سمعة والدي المهنية ونزاهته المفترضة.»

سرت في جسم ليزا قشعريرة، فهي لم تتوقع شيئاً كهذا فسألته: «وكيف؟»

«لقد كشفت الحقيقة.»

«آه، يا كين.»

أي نوع من الرجال ستتزوج، انها تعرف كين رجلاً عنيفاً، اما ان يكون قاسياً بهذا الشكل؟

لم يتحول نظره عن الطريق امامه، وكأنه لم يسمع هتافها، كان يحيط به جو من القسوة الهادئة وهو يتابع قائلاً:«ثم دمرت زوج والدتي، مالياً وقد استغرق هذا وقتاً طويلاً، ولكنني نجحت في ذلك.»

شعرت ليزا بالتشنج، ما الذي كان السبب في كل هذه

الكراهية؟ لا بد ان هناك سبباً، لان كين لا يفعل شيئاً دون سبب.

«لقد تركت والدتي قريبة من الفقر والعوز قدر امكاني، ما جعلها تعيش من دون تلك الرفاهية التي هي اهم لديها من أي شيء او شخص آخر.»

هذا إذن ما فعله بوالده وزوج والدته، إذ حرمهما اهم شيء لديهما، السمعة، الثراء، الكرامة، الزهو.

قالت محاولة جهدها الاحتفاظ بهدوئها مثله، قالت تسأله:«اهو انتقام؟»

«كلا، ليس انتقاماً بل عدالة.» وكان في كلمته الاخيرة عنف بالغ.

قالت له برقة:«لم يكن في ذلك شيء من الشفقة، يا كين.»

قال موافقاً:

«مطلقاً، لم يصدر عنهم شيء من الشفقة، وبالتالي لم يحصلوا على شيء منها عندما كنت مرغماً على الدخول إلى المدرسة الداخلية، التي ارسلاني اليها، لكي يزيحاني من الطريق.»

سألته ليزا بهدوء:«ماذا حدث عدا عن هذا؟»

«لقد قادوا شقيقتي إلى الجنون.»

قال ذلك بشكل عنيف واقعي لا اثر للمشاعر فيه، ما جعل دم ليزا يجمد في عروقها للتفكير في كل ما لم

يذكره بعد، لا شك ان كين لم يقصد بكلامه ما فهمته منه.

سألته مستطلعة:«هل انضمت اليهم في ذلك؟»

«كلا... ليس بإرادتها، كانت جينا كأرنب منوم مغناطيسياً، فهي عاجزة عن رد الإجرام بحقها، لقد كانا السبب في مرضها بمرور السنوات.»

«ولكن، ألم يسيطروا عليك انت، يا كين؟»

«كلا، انهم لم يستطيعوا.»

ما عدا الكراهية والتمرد والرغبة في النهوض من الكبوة والرغبة في التفوق، هذا ما اخذت ليزا تفكر فيه، ولكن شقيقته... مازال عقل ليزا مجفلاً من قبول هذا النوع من الوقائع التي تحدث عنها كين، لا بد انها تتخيل حقيقة ما تسمع.

سألته رغبة منها في التخفيف عن كين من هذه الصور التي يختزنها في ذاكرته:«ماذا حدث لجينا؟»

اجاب بحقد مر:«اخذ زوج والدتي يضربها كل يوم عاشت فيه معهما، اما والدي والذي اتخذ مهنة إيجاد العذر لكل انواع الغلط بدعوى الطب النفسي فقد رفض ان يصدقنا... رفض التدخل وإبعاد جينا، ولم تشأ والدتي ان تفقد حياة الرفاهية التي كانت تعيش فيها، فأغمضت عينيها عما كان يجري، كانت تعلم ولكنها لم تهتم.»

اغمضت ليزا عينيها وقد شملتها رجفة، تلك كانت الذكريات السوداء التي ارادت من كين ان يشاركها فيها، الذكريات التي شفته من المآسي العنيفة منذ زمن طويل، نعم، لقد قرأت عن مثل هذه الامور، في الصحف وسمعت عنها في التلفزيون ولكنها لم تتوقع ابداً ان تمس مثل هذه الفظائع حياتها. لا عجب إذن في ان يحتفظ كين لنفسه بها... وتمنت لو لم تسأله، تمنت...كلا، من الافضل لها ان تعلم هذه الامور مهما كانت شائنة، انها تساعدها على الاقل في فهم كين.

حاولت ان تتصور كيف كان تأثير ذلك عليه، وهو يرى نفسه عاجزاً عن منعه من الإستمرار، عاجزاً عن إنقاذ شقيقته... غلام في الثانية او الثالثة عشرة يكافح ضد كبار مصممين على ابقاء كل شيء على ما هو عليه، حن قلبها عطفاً على الصبي الذي حرم من طفولته.

سألته:«كيف دمرت زوج والدتك مالياً؟»

القى عليها نظرة تتألق رضاءً حاقداً وقال:

«كان لديه شركة الهندسة، فكرست نفسي لمنافسته عملياً، استأجرت كبير موظفيه وكان هذا الجزء سهلاً، فقد كان نذلاً مع موظفيه كما كان في كل شيء في حياته، ثم اخذت انافسه

في كل مناقصة يتقدم بها، فأقدم سعراً ارخص، وبالاختصار دمرت اعماله، واقدم هو على عدة اشياء حمقاء دفعه اليه الاحباط ومن ثم اعلن افلاسه، وبعد ذلك بوقت قصير مات إثر ذبحة قلبية، ولم اتألم لاجله.»

يا له من رجل عنيف لا يعرف الصفح، سألته:

«هل اعددت نفسك لذلك منذ كنت في المدرسة؟»

«نعم.»

كان هذا هو السبب في ان عمله كان له الاهمية الكبرى لديه. لم يكن هو الوسيلة فقط لحياة ناجحة في العالم، وإنما كل نجاح يحصل عليه كان يغزي في نفسه، دون شك الرضا وهو يرى تحت رحمته الرجل والمرأة اللذين اجرما في حق شقيقته وذلك بكل قسوة.

اخذ يدق بقبضته على عجلة القيادة بخفة عدة مرات وهو يقول بحزم:«العدالة... يجب ان تكون هناك عدالة.»

وخيل الى ليزا ان قبضته هذه هي مطرقة القاضي على منصة المحكمة.

وتحت هدوئه الظاهري، كانت ليزا تحس بمشاعره العنيفة المضطرمة، وفكرت في انه ليس بإمكان كل عدالة ان تبطل ما كان حدث، انها تعاقب المجرم، ولكنها لا تنقذ الضحية.

سألته شاعرة بالألم الهائل لهذه الفتاة التي سلبوها صباها:«لماذا لم تترك شقيقتك منزل والدتها؟»

«كانت في منتهى الضعف والانهيار...»

«ولكنها تركت المنزل اخيراً.» سألته ذلك بضراعة آملة ان تسمع شيئاً يوحي اليها بالفرح في هذه القصة المروعة.

«نعم، لقد ابعدتها عنهما بعد ان اصبحت كبيراً الى حد يمكنني السيطرة على اي محاولة منهما لإعادتها.»قال ذلك بعنف بينما اصابعه تشتد على عجلة القيادة: «وكانت قد اصبحت في حالة بالغة من التلف. تلف يدوم معها مدى حياتها.»

وصدرت عنه آهة وكأنه يريد ان يرتاح من بعض مشاعره المكبوتة، ثم تابع يقول:

«انني افعل ما استطيعه، فأنا ارسل اليها مبلغاً كل شهر لكي تشعر ببعض الاستقلال، وهي تعلم ان بإمكانها الاتصال بي كلما احتاجت شيئاً ولكننا لا نتكلم مع بعضنا البعض، فقد حدثت اشياء كثيرة جداً.»

آلام كثيرة، واعباء كثيرة يحملها في الاعماق المظلمة من عقله وقلبه وروحه، فلا عجب انه لم يضع ثقته في احد... ولا عجب في كونه يعيش وحيداً. ذهبت الافكار بليزا الى حياتها العائلية السهلة الخالية

من المشاكل، وملأها التقدير له لقوته في ان يصبح الرجل الذي هو عليه الآن.

لم تشعر بالعطف على والدته ووالده وزوج والدته، إذ ليس بامكانها ان تجد عذراً او تصفح عن ذلك النوع من المعاملة.

وكين لن يسألها مطلقاً عما إذا كانت تستحسن او لا تستحسن ما حصل. لقد كان هو الكبرياء والعزم والقانون. ولكنه كان رجلها وإذا كان ما قام به قد ساعدها على التخلص من اي من آلالام التي ابتليا بها، فهي لن تفكر في انتقاد عمله، بل هي إلى جانبه.

قالت بلهجة حزينة:«انني آسفة يا كين.»

القى عليها نظرة حذرة فيها معنى من الضعف، ما جعلها تحدس بأنه لم يكاشف شخصاً آخر بما حدثها به، فقابلت نظرته من دون ان يطرف لها جفن، عالمة بأنه يريد ان يعلم ما إذا كان عطفها هذا صادقاً، كانت هذه لحظة هامة، ومسألة ثقة تمتد اليها وتعود اليه.

فعادت تقول:

«شكراً لانك اخبرتني بكل هذا.»

قال لها بخشونة:

«اريد ان تكون ذكريات زفافنا سعيدة يا ليزا.»

طمأنته بقولها:«وهي ستكون كذلك.»

«وهذا هو السبب في انني لا اريد احداً من اهلي هناك.»

هفا قلبها اليه وسألته:

«هل يمكنك ان تسافر بالطائرة الاخيرة هذه الليلة؟»

نظر اليها بحذر:

«اظن ذلك، لماذا؟ هل هناك المزيد من افراد اسرتك تريدينني ان اتعرف اليهم؟»

فقالت باسمة:

«كلا، بل فكرت في ان نبقى معاً لوقت اطول.»

بدا الاستغراب على وجهه وكأنه لا يصدق انها نسيت تاريخ ماضيه بهذه السهولة.

سألته:«انك تحب التكلم معي، اليس كذلك؟»

«طبعاً.»

«سنمضي وقتاً ساراً.»

قال وقد بان العزم في عينيه:

«انني اريد اسرة، يا ليزا، اسرة لي تكون كما يجب ان تكون عليه بقية الأسر. اريد ان اربي اولادي تربية حسنة، واكون لهم الوالد الذي كنت اتمناه لنفسي، وانت تريدين اسرة ايضاً، اليس كذلك؟»

«نعم، بالطبع.» تمتمت بذلك بسعادة.

تنهد راضياً وهو يقول:

«سنكون والدين صالحين.»

فقالت باسمة:«سنحاول ذلك قدر إمكاننا، يا كين، اظننا نشترك في اقتراف بعض الاخطاء إذ لا يوجد انسان كامل.»

«لقد انشأك والداك بشكل جيد.»

هذا مزيد من الاستحسان تراه من كين هذا النهار فقالت: «اشكرك.»

«عليك ان تريني كيف تقومين بذلك.»

«كيف اقوم بماذا؟»

«كيف تكونين والدة جيدة.»

ارتفعت قهقهتها سروراً:«ليس لدي من الخبرة اكثر مما لديك يا كين.»

«ولكن كان لديك المثال الجيد.»

تنهدت راضية:«انني مسرورة لاعجابك بوالديّ؟»

«انهما لا يؤذيان احداً.»

وتساءلت ليزا عما إذا كانت هذه هي القاعدة في حكم كين على الآخرين، وما كان ليدهشها إذا كان كذلك بالنسبة إلى خبرته في الحياة، وشعرت بنفسها اقرب إليه مما كانت من قبل، وذلك بعد ان ابتدأت تفهم العقل الذي يقود هذا الرجل.

كان عليه ان ينجح، وكان هاجسه ذاك مبنياً على انعدام الشعور بالامان والذي لم تعرفه ليزا قط، فكان من الطبيعي ان تنجح اعماله، وكان

هذا بالنسبة اليه، امراً واقعياً، محسوساً سهل الوصول إليه فالنتائج محسوب امرها، والارباح في البنك، والناس لا يمكن التنبوء بما يمكن ان يصدر عنهم.

ربما لم يكن كين يعرف ما هو الحب، ولكنه اختارها من بين كل النساء، واليوم قد ابتدأ يثق بها، ويفضي اليها بذكرياته، لقد ارادها زوجة له تعطيه الأسرة التي يحلم بها، وهذا يعني شيئاً كثيراً بالنسبة الى ليزا.

كان كين ماريوت رجلاً قاسياً لا يعرف التسويات ولكن بإمكانها ان تعتمد على ولائه واخلاصه والتزامه الكامل بعهود الزوجية، هذا عدا عما يرغب في ان يتعلمه، هذا إذا وجدت الطريق الصحيح لتعليمه، فليس في الحياة ضمانة، كما اخذت ليزا تحدث نفسها، وكل ما بإمكانها عمله هو ان يستغلا افضل ما لديهما معاً.

john lee

الفصل الثامن

كانت حفلة الزفاف صغيرة، ولكن مع كل ملحقاتها التي طالما حلمت ليزا بها، وقد وصفت والدتها هذه الحفلة بأنها اكثر حفلات الزفاف في التاريخ ميلاً إلى جانب واحد، إذ كان العريس وحده في ناحيته، ولكن ليزا وقفت بجانب كين بعزيمة راسخة وهو يصر على الوقوف وحده. كان يريدها بجانبه بقية حياته، وكان هذا هو غرضه الاساسي من الزواج.

ومع ذلك وهي تدخل مع والدها لإتمام عقد الزواج، شعرت بقلبها يغوص بين ضلوعها، هل شعور كين نحو الناس الآخرين قد محته اسرته تماماً؟ وماذا لو لم يستطع ان يمنحها الحب الذي تريده، على الاطلاق؟ وماذا لو لم يجد فيها ما ينتظر حسب مقاييسه الخاصة؟ اتراه سيحكم عليها بقسوته التي لا تعرف الإعتدال؟ كان الزواج من كين ماريوت شيئاً بالغ الخطورة... فلماذا تفعله؟

ذلك لانه لا بديل معقول عنه... هذا ما حدثها به قلبها. اما عقلها فحدثها بأن المشاكل ستأتي فيما بعد.

خفق قلبها عندما سلمها والدها للرجل الذي كان

ينتظرها ليسجلها زوجة له، وابتسم لها كين وقد نطقت عيناه بأنها تبدو رائعة الجمال في ثوب الزفاف، فهو يريدها بجانبه، وحدها فقط، بقية حياته، ولم تستطع ليزا ان تمنع عنه هذا.

لقد كانت تحب كين ماريوت، سواء كان ذلك للأفضل او للأسوأ.

ولهذا تزوجته. منذ اللحظة التي نطق رجل الدين فيها بكلماته المصيرية، لم تعد ليزا تلك العروس المرتبكة، بل عروساً سعيدة للغاية، فقد قال المدعوون كلهم ذلك، وكذلك اسرتها، ولكن ليزا كانت تعلم ان مظهرها لا صلة له بالسعادة، وإنما كان هو الاندفاع والتهور، ومهما كانت النتائج فهي ستواجهها عندما تحصل ثم تنتصر عليها، فليس ثمة رجوع، فهي مع كين، سيواجهان ويشتركان في ما تأتي به حياتهما.

التمعت عيناها بالدموع وهي تنظر إليه، لقد اصبح هذا زوجها من الآن فصاعداً.

همست تقول:«احبك يا كين.»

فكان كل ما اجابها به، هامساً:«ليزا.» ولكن اذنيها سمعتا الحب في لفظة اسمها، انها زوجته الآن، ولن يكون بينهما اي شخص آخر.

* * *

ارادا ان يكون شهر عسلهما مثالياً، وقد ابتدأ بهذا

الشكل، ما عدا بعض الاختلافات البسيطة في الرأي سرعان ما كانت ليزا تزيلها. في الصباح التالي للزفاف، استقلا الطائرة من سيدني الى جزر فيجي، وكان كين قد حجز لعشرة ايام في جزيرة تورتل، وهي منتجع صغير تستطيف دزينة من الاسر في نفس الوقت، ومنذ لحظة وصولهما اعجبت ليزا بالجمال الإستوائي هذا.

اخذت الايام المثالية تتوالى، فالجو رائع، وكانا يمتطيان الجياد في انحاء الجزيرة قبل الإفطار، وكانا يجلسان تحت الاشجار يقرآن حتى موعد الغداء وكانا يلعبان الكرة على الشاطىء مع الموظفين الفيجيين حتى غروب الشمس، ويتناولان المرطبات مع بقية النزلاء، ويستمتعان بالاحاديث العامة على العشاء.

بقيا في انسجام تام الى ان وصلت رحلتهما الى نهاية مفاجئة.

كان ذلك في اليوم الخامس حين وصلت مكالمة هاتفية من ملبورن تتحدث عن ازمة اخرى. ذلك ان الرجال في مركز البناء التابع لشركة كين قد صوتوا على القبول بتوصية اتحاد العمال لكل الانشطة الصناعية بأن يعلنوا الإضراب طلباً لزيادة الاجور، وهم الآن قد تركوا العمل.

لم يكن هناك جدال في ما ينبغي ان يعمل، فقد كانت اعمال كين في خطر، وليس هناك اعتبار لأي شيء آخر.

وسرعان ما اتخذ قراره وحجز على اول طائرة إلى استراليا في اليوم التالي، ثم حدث ليزا بالخبر.

لم يقل سوى:«انني آسف لانتهاء شهر العسل.»

فقد كان ذهنه مشغولاً تماماً بمشاكله المالية، وكان هذا منطقياً، كما حدثت ليزا نفسها، ذلك ان هذا الإضراب قد يتغلب على شركة كين الهندسية، فكل ما بناه كين في حياته سينهار، لم يكن تأثير هذا وكأنها لم تكن تعلم ان مركزها في حياته هو الثاني بعد عمله، فقد ادركت الآن السبب في اهمية عمله بالنسبة إليه، ولم يكن لديها اعتراض مطلقاً على ما فعل، وإنما طريقة قيامه بذلك هي التي جرحتها، فلا مشاركة في الرأي، والذي كان من جانب واحد كلياً، لقد كان كين هو كين، وليس زوجها.

لم يعجب هذا ليزا، فهي زوجته، ولن تدعه يعاملها وكأن لا دور لها في حياته فما يحدث الآن لاعماله يمسها هي ايضاً، ولهذا لها كل الحق في ان تشترك معه في الرأي.

قالت:«سأذهب معك الى ملبورن.»

نظر إليها عابساً، ولكنها عادت تقول:«مازال لدي

اسبوع آخر عطلة قبل ان اعود الى عملي، وانا لن اقيم وحدي في سيدني، يا كين.»

قال محذراً:«ليزا، لن يكون الامر ساراً بالنسبة إليك، فإذا كان عليّ ان اخرج هذا من النار، فسيكون عليّ ان اعمل ليلاً نهاراً.» وعبس مرة اخرى:«يمكنك البقاء هنا إذا شئت...»

«كلا، لن ابقى هنا من دونك، يا كين، إنني سأتفرج على ملبورن لانني لم اذهب اليها قط، ولهذا انا واثقة من انني سأجد الكثير مما اراه واقوم به، ومن يعلم؟ ربما ترى مني فائدة ما، فأنا سكرتيرة جيدة كما تعلم.»

اخذ ينظر في عينيها متردداً:«اليس لديك مانع، إذا انا لم اجد الوقت لرعايتك والعناية بك؟ والمجيء متأخراً في الليل فأزعجك اثناء نومك.»

«يمكنك ان تزعج نومي في اي وقت، يا كين.»

وهكذا لم يعد بينهما اي نقاش بمسألة مرافقتها له الى ملبورن ليمضيا معاً الاسبوع الاخير من العطلة.

على كل حال، فالامور لم تسر كما كانت ليزا ترجو، فقد شعرت في ملبورن بالوحدة والسأم، ولم تجد سروراً في التفرج على ملبورن وحدها، اما كين فلم تكن تراه كثيراً، وحين يعود متأخراً الى الفندق، فلا

يوقظها، وعندما يجلسان للإفطار كان يبدو عليه الإنفعال والتوتر.

كان احياناً يسألها عن برنامجها لهذا النهار، ولكنه لم يكن يستمع الى جوابها، في الحقيقة، ذلك ان ذهنه يكون مشغولاً بما عليه ان يصنع، وإذا هي سألته عن مشاكله فهو يتمتم بأنها سيئة، ومع نهاية الاسبوع، كانت ليزا مسرورة وهي تستقل الطائرة عائدة الى سيدني، رغم انه كان على كين ان يبقى في ملبورن، ان بإمكانها على الاقل ان تشغل نفسها بعملها وترى الناس الذين تعرفهم حولها.

كان جاك كونواي قد احتفظ بها سكرتيرة له رغم شكوكه بالنسبة الى وضعها المعرض للشبهة ويبدو انه قد قرر ان يضع ثقته في كرامتها، فقد كانت ذات فائدة جمة له، وقد بدا عليه السرور وهو يراها في اول صباح لها في المكتب.

سألها وقد لمعت عيناه اهتماماً:

«كيف كانت العطلة؟»

اجابت:«رائعة.» ومنعها كبرياؤها ووفاؤها لكين من اطلاعه على ان النصف الثاني من العطلة كانت تعيسة وسيئة نوعاً ما.

فسألها بدهاء:

«الم يترك الإضراب تأثيره عليه؟» إنه طبعاً يعرف

بالإضراب، فهو قد اثر على شركته كذلك.

«لقد قصّر من مدة شهر عسلنا، وهذا كل شيء.»

ارتفع حاجبه متسائلاً:«آه، ألم يسألك ماريوت عن مشروعي وينجيكامبل وجيسامين بعد؟»

عبست لهذا السؤال واجابته بحزم:«كلا، يا سيدي.»

فالتوت شفتاه باستحسان ساخر:«انني اعجب...لا بد ان لديه خطة اخرى...»

ثم غادر الى مكتبه تاركاً إياها تتساءل هي ايضاً، كان واضحاً ان جاك كونواي كان يتوقع من كين ان يستغلها بصفتها منبعاً للمعلومات. وان عدم قيامه بذلك كان يثير الاستغراب في ذهن رئيسها، ذلك ان مدير «الشركة الدولية المختلطة» ما كان نفسه ليتردد في مسألة استخدامها لمصلحته، فقد فعل ذلك مرات ومرات، ايمكن ان يكون كين يهدف بتعمده السكوت الى جعلها تتقدم لإصلاح الوضع من ذاتها؟ اتراه ينتظر منها ان تخبره، متوقعاً ان تخفف من الضغط المالي الذي يرزح تحته؟

لكن ليزا ما لبثت ان نبذت من ذهنها هذه التخمينات، فقد كانت اشياء ملتوية بالنسبة إليها، ذلك ان كين لم يطلب منها اي معلومات، وكانت هي راضية مقتنعة بهذا، رغم انها اخذت تتساءل كيف اتى على ذكر تدميره لزوج والدته مالياً، والوسائل التي حققت

ذلك، لا بد انه حصل على معلومات من الداخل جعلته يقدم مناقصات ارخص من المعروضة، ماذا غير ذلك قد يكون قام به؟ ولكن ليزا عادت فحدثت نفسها بأن ذلك الامر كان مختلفاً لانه كان يحقق العدالة.

لم يكن انفصالها هذا عن زوجها بداية حسنة لزواجهما، كما اخذت تفكر وقد تملكها الإكتئاب، خصوصاً وقد اخذت الاسابيع تتبع بعضها البعض، وكان كين يتصل بها هاتفياً كل صباح تقريباً قبل ذهابها الى العمل، ولكن استياءها من هذا الوضع كان في إزدياد، فهي لم تعد تراه حتى في عطلة آخر الاسبوع. ورغم ان إضراب العمال قد انتهى، الا ان كين اوضح لها ان هناك من العمل الذي ينبغي إنجازه ما لن يستطيع تركه، فقد طلب من العمال القيام بساعات عمل إضافية وهم يقومون بها حالياً، ولكن كل شيء يحتاج إلى تنسيق وإشراف.

لم يكن الإنتظار سهلاً، ورغم اقتناعها إلا انها لم تستطع منع نفسها من الشعور بالإهمال وعدم الاهمية. وكان اكتئابها يزداد وهي ترى نفسها وحيدة آخر، وكانت تشعر احياناً بالرغبة في البكاء نتيجة احساسها البالغ بالإحباط، لقد كانت تزوجت الرجل الذي تحب، ولكنها لم تستطع امتلاكه، ولم تستطع الحصول على حبه ايضاً، رغم ما

يبدو عليه من لهفة المحبين في الهاتف.

ومساء الجمعة من الاسبوع الثاني، مرت بها لحظات تملكها اثناءها الرجاء في ان كين قد غير رأيه بالنسبة الى عدم القدوم إلى البيت لقضاء العطلة الاسبوعية، وإذ كانت تعلم ان لا احد سواه يمكن ان يتصل بها بعد العاشرة ليلاً، هرعت إلى الهاتف عندما تصاعد رنينه.

امسكت بالسماعة تعلن اسمها:

«ليزا ماريوت.» وساورها السرور وهي تقرن اسمها باسم زوجها.

«من انت؟»

كان صوت امرأة، وتوقف قلب ليزا عن الخفقان، وساورتها الشكوك، ما الذي يجعل اي امرأة تتصل بكين في مثل هذه الساعة؟

قالت ببرودة:

«انني ليزا ماريوت زوجة كين، ماذا تريدين؟»

«اريد كين.»

«انه غير موجود حالياً، فهو في ملبورن.»

صمت.

سألتها ليزا بعذوبة لاذعة:

«هل تريدين ان تتركي له خبراً معي؟»

فازداد الصمت، وعندما فكرت ليزا بأن هذا يضع

نهاية للحديث، جاء الجواب يضطرب ذهولاً وعدم يقين:«هل قلت...زوجته؟»

قالت ليزا مؤكدة:«نعم.» واخذت حرارتها ترتفع. إذا كان كين كذب عليها... إذا لم يكن مخلصاً لها منذ البداية.. وسألت:«من المتكلم، من فضلك؟»

فعاد الصمت، ثم:«انني جينا وودبري، انا شقيقة كين.»

كان صوتها ضعيفاً وكأنها لم تكن واثقة من وضعها.

قالت ليزا بسرعة:«انا آسفة، لم ادرك انه انت، لم اكن اعرف...»

ومازال الصوت مرتجفاً يبدو فيه عدم اليقين:«انه..انه لم يخبرني بأنه سيتزوج، انا آسفة... عليّ ان اذهب.»

قالت ليزا بحدة:«كلا، لا تذهبي.» كانت تريد ان تتحدث الى جينا، فهناك الكثير مما تريد معرفته.

«لا اريد ان اتدخل...»

اسرعت ليزا تقول:«ان هذا ليس تدخلاً فأنا متزوجة من شقيقك.» وسكتت لحظة، لم تستطع ان تقول صراحة ان كين لم يشأ ان يدعو شقيقته الى حفل زفافهما، ثم عادت تقول:« انا آسفة إذا لم نتعرف إلى بعضنا البعض، لقد اردت فعلاً...» ولم تعرف ماذا تقول.

وجاءها الجواب ببطء:«اتظنين...؟» وكان في صوتها تساؤل بحاجة الى حسم.

قالت بحزم:«نعم، اظن ذلك.» وكانت بذلك تأمل ان تشجعها.

قالت جينا مترددة:«انا احب... احب ان اتعرف اليك.»

بدا لليزا وراء كلمات المرأة كدر حقيقي. وتملكها نحو هذه المرأة التعسة عطف بالغ وأسى حقيقي لما اصبحت عليه اعصابها من تلف، وفجأة تذكرت ما كان قاله لها كين من انه طلب من شقيقته الإتصال به كلما احتاجت الى شيء. فقالت لها:«جينا، هل هناك شيء يمكنني صنعه لاجلك؟ ان كين مسافر، ولكن بإمكاني ان افعل كل ما تريدين.»

مضت لحظات اخرى من الصمت، سارعت جينا بعدها تقول:«هل بإمكانك؟ انا بحاجة الى من اتحدث إليه.»

«طبعاً سأتحدث اليك.»

«ايمكننا تناول الغداء معاً؟»

«نعم، كل ما تريدينه، وأينما تحبين.»

كانت ليزا قد اندفعت تقول هذا دون ان تفكر فيما إذا كان كين يوافق على هذا، «هذا حسن.»

«ما رأيك ان يكون ذلك غداً، او متى تريدين ذلك يا جينا؟»

«غداً، شكراً لك. ما اسمك؟»

«اسمي ليزا، اين سنتقابل للغداء؟ هل تفضلين مكاناً معيناً؟ اتحبين ان تأتي الى هنا؟»

«كلا...آه، كلا... ليس في غياب كين، لا احب ان اثقل عليك.»

تنفست بعمق محاولة تهدئة لهفتها، ثم قالت:«ما رأيك في مطعم دويل في ساحة كواي؟ يمكننا من هناك ان نتفرج على المراكب في المرفأ، ولا ضرورة لان يعرف كين بالأمر.»

كان يبدو وكأن جينا قلقة من ان يعرف كين بلقائهما، ولكن ليزا في تلك اللحظة، لم تهتم برأي كين، إذ لم يكن يشغل بالها سوى تهدئة شقيقته والتخفيف مما كان لحق بها من أذى، وربما كان كين يضع في اعتباره ضعف جينا وحالتها العصبية، ولكن لشد ما تألمت هذه الفتاة التعسة...

وقالت:«هذا يناسبني، الساعة الثانية عشرة، شكراً يا ليزا، ان اسمي جينا وودبري، هل ستتذكرين هذا؟»

سألتها ذلك ومازالت اللهفة في صوتها.

فقالت ليزا تطمئنها:«ليس ثمة مشكلة، وانا مسرورة بلقائك.»

«إنه...إنه جميل منك هذا القول، وأنا مسرورة لان شقيقي وجد من يريد الزواج منها، مسرورة جداً...»

وتلاشى صوتها، فقالت ليزا:«حسناً، سأراك غداً يا جينا.»

«نعم، غداً، تصبحين على خير يا ليزا.»

لم تتذكر ليزا انها نسيت ان تسأل جينا عما كانت تريده من كين، الا بعد انتهاء المكالمة بدقائق، ان عليها ان تسألها غداً عن ذلك، فإذا كانت تريد شيئاً، فإن كين يريدها ان تحصل عليه طبعاً.

كانت هذه مكالمة غريبة تتضمن اموراً معقدة، وبدا لليزا وكأن جينا تظن ان شقيقها يشعر بالخجل من قرابتها له، وهذا غير صحيح بكل تأكيد، ومع ذلك...وهزت ليزا رأسها مشوشة الذهن، هنالك اشياء كثيرة لم تكن تعرفها، ربما اجتماع الغد مع جينا سيجعل الامور اكثر وضوحاً.

* * *

اجتهدت ليزا في ان تكون في مكان الاجتماع بشقيقة كين، في الوقت المقرر بالضبط، فإذا كانت اعصاب جينا كما وصفها كين، فإن اقل انتظار لها قد يزعجها، ولسبب ما، فكرت ليزا ان من المهم جداً ان تتعرف الى جينا ودبري فقد تعرف كين بشكل افضل وذلك من وراء معرفتها بشقيقته، بدا لها غريباً ان يكون هو بهذه القوة، وهي بهذا الضعف، ولم تكن ليزا تعرف ما عليها ان تتوقعه، فمن ناحية اخرى،

قد لا توافيها جينا الى الموعد على الاطلاق، فاهتمام ليزا الوحيد هو ان لا تكون مخطئة هي نفسها.

لم يكن لدى ليزا فكرة عن شكل شقيقة كين، تصورتها داكنة العينين كشقيقها، ولكنها عندما دخلت الى المطعم وسألت عن المائدة المحجوزة باسم السيدة وودبري، وجدت الحقيقة ابعد ما تكون عن الخيال.

قادها النادل الى مائدة يجلس عليها رجل وامرأة وليس امرأة وحدها، نهض الرجل لها عند اقترابها، بدا في حوالي الاربعين من العمر، قد خط الشيب شعره البني اللون، معتدل الطول والبنية، اما وجهه فقد كان يسر الناظر بوجه عام.

اما المرأة التي كانت معه فقد كانت جميلة للغاية ذات ملامح رقيقة وعينين واسعتين رقيقتين، لقد كان من المستحيل ان تجد لها شبهاً بكين على الاطلاق، كان هذا يحدث في الاسر، بطبيعة الحال، فلا يتشابه الاخوة، نظرت إلى ليزا بينما كان الرجل يقدم نفسه وزوجته. «انني تريفور وودبري، وزوجتي جينا تشعر بالارتباك والخوف من الغرباء والازدحام، ولهذا احضرتها بنفسي لكي تشعر بالأمان والآن سأتركك لكي تعتني بها.» نظر الى ليزا ملتمساً منها بضراعة ان ترعى زوجته، قبل ان يلتفت الى جينا قائلاً: «انك تعرفين اين سأكون، تعالي إلي

عندما تريدين الذهاب وذلك في اي وقت تشائين.»

قالت وهي ترتجف توتراً: «انك رائع، رقيق يا تريفور.»

فضغط يدها مطمئناً، ثم قدم مقعداً لليزا، واطمأن إلى راحتها ثم امر لهما بمرطبات وذهب.

قالت جينا بتوتر: «ارجو ان يكون الطعام البحري يعجبك، يا ليزا.»

كان مطعم دويل مشهوراً بالسمك الطازج، فقالت ليزا تطمئنها، آملة بأن تيسر لها الامر: «انني اعشق السمك.»

اخذتا، هما الاثنتين، تدرسان قائمة الطعام، ثم اخبرتا النادل بما تريدانه، ثم اخذت الواحدة منهما تنظر الى الاخرى برهة، قبل ان تجد ليزا شيئاً تقوله: «ان زوجك سيد محب وغاية في اللطف.»

فأشرق وجه جينا بالابتسام، كان حلاوتها تلوي الفؤاد.

قالت ببساطة: «ان تريفور انقذني.»

قالت ليزا: «لقد حدثني كين عما تعرضت له من معاناة.»

مالت جينا الى الامام، وفي وجهها لهفة الى ان تجعل ليزا تفهمها: «لولا تريفور، لقتلت نفسي، انه ممرض، كما تعلمين.»

«كلا، لم اكن اعلم.» كانت تعلم فقط انه كان يمرض جينا، حسب قول كين.

«لقد صادفته في مركز إعادة التأهيل. وكان هذا افضل ما فعله كين لاجلي، وهو وضعي في ذلك المركز، ولو لم اقابله... ان زوجي اكثر الرجال محبة في العالم.»

قالت ليزا باسمة:

«هذا ما رأيته، انك فتاة محظوظة، يا جينا.»

«نعم، انا كذلك، لقد حاول كين قدر امكانه، فهو دوماً كان يحاول، ولكنه لم يكن يفهمني على الاطلاق.» وبدا القلق في صوتها وهي تضيف قائلة بسرعة:«ارجوك، لا تظني انني انتقده.»

قالت ليزا تخفف عنها:«ليس كل شخص قادر على التفهم.»

نظرت جينا اليها متفحصة بعينيها الكبيرتين:

«لا بد انك شجاعة جداً.» وأومأت باستحسان. «وقوية ايضاً وطبعاً، ما كان كين ليتزوج امرأة غير قوية، ان عليك ان تكوني قوية.»

«لماذا تقولين ذلك؟»

واطلقت جينا ضحكة قصيرة متوترة:

«انه يستاء من الضعف، فهو لا يعرف كيف يتعامل معه، وهذا كما تعلمين، ليس ذنبه، لانه ليس من مزاياه. فقد ولد كين محارباً.»

فقالت ليزا:«نعم، هذا ما اراه.»

«انك مغرمة به.» وكان هذا بياناً وليس سؤالاً، فأجابت ليزا:«نعم.»

«منذ متى عرفته؟»

«منذ اكثر من سنة بقليل.»

«ومتى تزوجتما؟»

«منذ اربعة اسابيع.»

فأومأت جينا، ومرة اخرى شعرت ليزا بالحرج البالغ لعدم إرسال دعوة الى جينا لحضور الزفاف، لان كين لم يجد من الملائم لهما ان يتعارفا قبل ذلك.

رفعت جينا بصرها، وإذا رأت ما ارتسم على وجهها من ارتباك، ابتسمت بعطف، قائلة:«لا بأس، فأنا متفهمة،ان كين يريد ان يفصل حياته الحاضرة عن ماضيه، يريد حياة جديدة نظيفة، لقد كان اخبرك بكل شيء، اليس كذلك؟»

لم يكن من الضروري الإفصاح عما كانت تعنيه، فقد كانت المعرفة في اعينهما هما الاثنتين، ولكن ليزا قالت بحذر خوفاً من ان تسبب لها الألم:«بعض الاشياء.»

«هل هو يحبك، يا ليزا.» لامر ما، وجدت من المستحيل الا تخبرها بالحقيقة فأجابت بصدق:«لا ادري، فقد ابتدأ يثق بي.»

ابتسمت جينا:«انني مسرورة لذلك، فقد عاش وحيداً

زمناً طويلاً، كان في وحدة هائلة لم استطع مساعدته، خصوصاً بالشكل الذي كان بحاجة إليه، فأنا لم اكن بالصديقة المناسبة.»

سألتها ليزا بهدوء:«انك تحبينه كثيراً اليس كذلك يا جينا؟»

«آه، نعم.» واغرورقت عيناها بالدموع. «انا مستعدة للقيام بأي شيء لاجله. اريده ان يكون سعيداً، فحياته لم تكن سهلة، هو ايضاً، فقد واجهها بغير ما واجهتها انا به، ارجو ان تكوني صبورة معه، يا ليزا، فهو لا يظهر مشاعره ولكنه يتألم في داخله، انني احياناً افكر في ان الحياة كانت اسوأ بالنسبة اليه منها إلي، انني اعرف ان رؤيتي يؤلمه، وليس بوسعي شيء إزاء ذلك فهو يظن انني خذلته.» ولفظت جملتها الاخيرة بحزن.

«أنا آسفة.» همست ليزا لها بذلك وقلبها يهفو الى هذه الفتاة التي خسرت، في الواقع شقيقها الذي تحبه، اخذت تفكر في كل ما قاله لها كين، ولماذا يؤلمه ان يرى شقيقته الآن، ثم سألتها برقة:«لماذا لم تهجري ذلك الوضع، يا جينا؟ لماذا بقيت مع والدتك وزوجها؟»

ارتجفت شفتاها بشبه ابتسامة:«آه، لم استطع ان اتركهما، لم يكن هناك حل آخر قابل للحياة.» وبدا

في عينيها المعذبتين عزم قوي لم يكن فيهما من قبل، كان جمرة تشتعل تحت رماد حياتها، وتراجعت ليزا امام تلك النظرة، مشوشة الذهن، محاولة ان تفهم، وقد ادركت ان جينا كانت تحاول ان تخبرها بشيء هو سهل جداً بالنسبة اليها ولكنه مخيف معقد بالنسبة الى ليزا.

حاولت ان تحوم حول الموضوع:«يمكنني ان ادرك ذلك. لا بد ان الامر كان بالغ الصعوبة بالنسبة الى فتاة في الثانية عشرة...»

فقاطعتها جينا بسرعة:«ليس لذلك علاقة بالأمر، لا شيء على الاطلاق.» وبدا الارتباك في نظراتها:«كنت اظنك فهمت، ولكن هذا لم يحدث.»

ابتدأت في النهوض وهي تمد يدها الى حقيبة يدها، وقد بدا الأسى والإضطراب في كل حركة منها، ولكن ليزا اندفعت تمد يدها عبر المائدة تمسك بها يد جينا لكي تلفت انتباهها، وهي تقول معتذرة:«انني احاول ان افهم، فارجوك ألا تذهبي، ارجوك... اريد ان استمع اليك، اريدك ان تخبريني عما لست افهمه.»

بدا انها نجحت في ذلك، إذ عادت جينا الى الجلوس وقد تسمرت عيناها في عيني ليزا بعنف. متفحصة اخلاصها، وقالت:« لو كان عليّ ان افكر في نفسي فقط، لتركت ذلك المنزل سواء كنت في الثانية

عشرة ام لا... فأنا لست الى هذا الحد من الضعف.»

«لماذا... إذن؟» وعندما القت هذا السؤال رأت ومضة ألم على وجه جينا، ما جعلها تعلم انها فشلت في امتحان الفهم، بينما تمتمت جينا تقول:«الامر سهل، حقاً.» ثم حاولت النهوض مرة اخرى. دافعة كرسيها الى الخلف، متفقدة حقيبة يدها، ثم وقفت وعيناها تتجنبان عيني ليزا:«يجب ان اعود الى تريفور.»

«نعم، بالطبع.» قالت ليزا ذلك بعد ان لم تستطع ان ترغم هذه المرأة التعسة على القيام بشيء، كان عليها ان توافق على كل ما تريد جينا. فالإشارة الى ما كان حدث منذ كل تلك السنوات، قد اثار الإنزعاج في مشاعرها، لقد ندمت ليزا على إثارتها للموضوع. كان يجب عليها ان تكون اكثر لباقة، إذ بالنسبة لاول اجتماع...

سارت جينا خطوتين، ثم ترددت، وعادت تنظر الى ليزا مرة اخرى:«لقد احببتك وانا مسرورة بالتعرف اليك.»

ردت عليها ليزا برقة:

«وانا احببتك، ايضاً.» فأومأت جينا. وصل الطعام، وقطبت جينا حاجبيها إزاء اطباق الطعام التي اخذ النادل يضعها على المائدة، هزت رأسها ثم شرعت بالسير مرة اخرى، وكأن لا علاقة لها بهذا

الطعام، واخذت ليزا تفكر عابسة كيف افسدت الامور. تناولت حقيبة يدها لكي تدفع ثمن الطعام. كان عليها ان تسلم جينا الى زوجها بأمان، اينما كان، تركت اوراق النقود المطلوبة على المائدة ثم نهضت واقفة، وعندما التفتت رأت جينا تستدير متقدمة نحوها:«ليزا...»

«نعم؟»

عادت جينا الى مائدتهما، وقد بدا العزم على وجهها، ثم وقفت امام ليزا:«لقد حدث ذلك لان...»

فقالت ليزا تشجعها بلطف:«نعم؟»

«لقد كنت مستميتة لترك ذلك المنزل، ولكن خطة كين كانت في ان اهرب معه، ويعيلني. وكان سيقوم بذلك، فقد كان كبير الجسم حينذاك، ودوماً كان قوياً، ولكنني لم استطع ان ادعه يتخلى عن فرصة عمره في حياة جيدة، وهكذا كان عليّ ان ابقى بعد ان لم اجد سبيلاً آخر.»

تألقت عيناها الجريحتان بقوة داخلية، هي إيمانها الراسخ المطلق بما فعلت، ونفس القوة جعل صوتها حازماً وهي تدلي بالسبب. «كان عليّ ان احمي كين.»

وفجأة، كان تريفور هناك الى جانبها يمسك يدها بلطف:«اتريدين الذهاب الآن، يا جينا؟» وكان صوته رقيقاً للغاية.

ابتسمت له جينا بارتياح: «نعم.»
نظر الى ليزا: «هل تعذريننا؟»
«طبعاً.» ومدت يدها تضغط يد جينا. «اشكرك للتعرف علي والتحدث معي.»
امعنت جينا النظر في عينيها بقلق: «لن يعجب كين هذا، وانا فقط اردت ان اراك... ان اعرفك قليلاً، انك لن تخبريه، اليس كذلك، يا ليزا؟»
كانت فكرة الخداع تثقل على نفس ليزا، ولكنها لم تستطع ان تتجاهل ما بدا في تلك العينين من ضراعة: «إذا كنت تفضلين عدم قولي...»
منحتها جينا ابتسامة مودة صافية وقد نسيت على الفور بطء تفهم ليزا لما كان واضحاً لها هي تماماً، وقالت: «انني مسرورة لان كين عثر عليك.»
«شكراً وانا ايضاً مسرورة لانك عثرت على زوجك، يا جينا.» ونظرت الى تريفور باحترام عميق لعمق عطائه.
تلاشى التحفظ من تلك العينين وبدا فيهما الاستحسان وهو يقول: «ارجوك ان تبقي وتتناولي غداءك. وانا سأنهي كل شيء على المكتب.» ثم ابتعد مع زوجته.
عادت ليزا الى الجلوس حيث اخذت تتناول طعامها وهي تفكر في ما اخبرتها به جينا، بشكل ما، ق

تجاوز هذا بكثير الرغبة. اتراها كانت تستمع الى هذيان شخص مضطرب؟ ام انها رأت امرأة قامت بتضحية قصوى وهي ان تصبح ضحية؟
لم تكن ليزا تشعر بشهية للطعام، فتركت الطعام وخرجت من المطعم تتمشى على كورنيش المرفأ، ثم جلست على احدى المقاعد الخشبية حيث اخذت تراقب حركة المرفأ والمارة حولها. اناس يسعون لمعيشتهم، ظاهراً، بينما تموج انفسهم باسرار شخصية لا تظهر للعيان.
كان القلق يتملكها لعدم تمكنها من اخبار كين عن اجتماعها مع شقيقته، ولكن ربما هي اعلم بشقيقها منها هي، فقد يتملكه الغضب العنيف إذا هو علم بأنها قامت بشيء لا ينبغي لها، خصوصاً وهي واثقة من صحة كلام جينا عن رغبته في حياة جديدة نظيفة.
مهما كانت حقيقة الماضي، فقد اصبح لدى جينا الآن فرصة لحياة افضل مع تريفور، ربما من الافضل ترك كل شيء على ما هو عليه، إذ لم تكن ليزا ترغب في جلب المشاكل بين الاخوة، وما ينبغي عليها ان تفعل هو التركيز على زواجها من كين... هذا إذا شرع هو في إعطاء ذلك فرصة النجاح.
نهضت من مكانها وقد تملكتها الكآبة، ثم انطلقت

الى بيتها، عند ذلك فقط تذكرت انها لم تسأل جينا عن السبب الذي جعلها تتصل هاتفياً بشقيقها، ربما كان شيئاً خاصاً بينهما، ولا علاقة لها به، ومع ذلك فقد كان من الصعب عليها فكرة ان على جينا ان تنبذ من الحياة المفروض ان تشترك فيها مع شقيقها، كان هذا يبدو لها بالغ الخطأ.

john lee

الفصل التاسع

بهتت الاسئلة المزعجة عن اسرة كين، وبشكل مفاجيء، لتتوارى في الظل عندما اكتشفت ليزا انها حامل، فقد اكتشفت التغيرات في جسمها بعد يوم واحد من مقابلتها جينا، وصباح الثلاثاء والاربعاء اخذ الدوار يتملكها. ومن ثم اخذت فكرة انها حامل بطفل، تصيبها بالذعر.

لم تكن مستعدة بعد للأمومة، فقد كانت فكرة إنشاء اسرة موافقة تماماً انما نظرياً. ولكن لدى مواجهة الواقع، شعرت ليزا بالخوف من العواقب. ذلك انها لم تكن تشعر في الحقيقة، بأنها متزوجة، وكين غائب طوال الوقت، ومع ذلك فقد يتمكن مجيء الطفل من أن يوثق العلاقات بينهما.

وما دام حدث هذا، فلا فائدة من عدم مواجهته حسب رأي ليزا، وهكذا شعرت بتوتر بالغ في انتظار النتيجة الى ان ظهرت ايجابية، وإذا بها رغم كل شكوكها بالنسبة الى مستقبلها مع كين، تتملكها البهجة والإنتعاش والعواطف السعيدة.

طفل...وطفلها هي... طفل كين، طفلهما هما الاثنين. وكانت ماتزال تشعر بالدوار، محاولة استيعاب

السعادة، عندما اتصل بها كعادته كل صباح، وركضت لتجيبه وقلبها يخفق بجنون وهي تفكر في إبلاغه بأنه سيصبح والداً. فقالت وهي تتنفس بسعادة:«نعم.»

«سآتي الى البيت اليوم، وقد اصل الى البيت قبل عودتك من العمل، وهكذا لا تقلقي إذا رأيت النور مضاء.»

أدار رأسها السرور، كين سيعود الى البيت، وفي احسن الاوقات، حتى دون انتظار عطلة نهاية الاسبوع، لم تشأ ان تخبره بحملها هاتفياً، كانت تريد ان ترى وجهه عندما تخبره عن الطفل، ويا لها من ليلة رائعة ستكونها الليلة المقبلة.

واندفعت تقول بفرح عنيف:«نعم، هذا رائع يا كين، هل كل شيء على ما يرام الآن؟»

سكت لحظة، ثم قال:«سنتحدث عن ذلك هذه الليلة يا ليزا.»

«لا استطيع الانتظار بعد كل هذا الوقت الطويل الذي غبت فيه عني.»

«نعم، هو كذلك.»

فقالت متوسلة:«لا تدع شيئاً يغير رأيك.»

«كلا، لن افعل.»

تنهدت بسعادة:«سأحاول ان اعود الى البيت من العمل مبكرة، وسأطهي لك اطيب طعام تحبه.»

«ليزا...» وبدا في صوته توتر خفيف، وسمعته يتنهد. «انني اتطلع شوقاً الى ذلك، يا ليزا، ولكن لا تزعجي نفسك كثيراً.»

خفق قلبها توقعاً، لشد ما اشتاقت اليه. ماذا سيقول عندما يعرف انها حامل؟

«ليزا...» وكانت لهجته جادة للغاية.

«نعم.» لا شك انه يشعر نحوها بنفس شوقها إليه، ولكنه قال:«لا بأس، سأراك الليلة، الى اللقاء الآن.»

وعندما ذهبت إلى العمل هذا الصباح شعرت بنفسها تطفو فوق السحاب، ففي كل مرة كانت تقف بسيارتها عند إشارة السير الحمراء، كانت تضع يدها على بطنها، ما اغرب شعور الامومة والرغبة في الوقاية الذي اصبحت تشعر به الآن، هذا بينما السعادة تغمرها في نفس الوقت، وكان وصولها الى مكان عملها من دون حادث بمثابة عمل خارق، فقد كان تركيزها على قيادة السيارة مشتتاً الى حد بالغ.

عندما رآها جاك كونواي، قال لها بلهجة جافة:«تبدو عليك السعادة بشكل واضح، هذا الصباح يا ليزا؟»

اجابت بابتسامة مكتومة:«شكراً يا سيدي.» لم تستطع ان تخبره بالسبب، خصوصاً وهي لم تخبر كين بعد.

«لا بد ان الزواج ملائم لك، انك فتاة طيبة، يا ليزا.»

كان في هذه المجاملة المفاجئة من جاك كونواي ذي

الصفات المميزة ما تركها لحظة عاجزة عن الكلام، بينما تابع هو يقول:«ثمة ميزة خاصة في ماريوت، وهو انه ينجح دوماً في ما يريد. ان وضعه في ملبورن صعب للغاية، ولكنه يتغلب على المحنة الآن، لقد قررنا إعطاءه مشروعي وينجيكامبل وجيسامين، ولن يصدر البيان في ذلك قبل شهر، ولكنني سأتصل به هاتفياً غداً، واتكلم معه بهدوء، فأنا اريده ان يسرع باستلام اعمالنا وان يتوقف عن التماس مشاريع اخرى، وإذا كان لديه ما يمنعه من الالتحاق بنا، فهذا لن يكون في صالحنا.»

قالت بلهفة:«انني واثقة من تقديره لذلك، يا سيد كونواي.» ومنحته ابتسامة تتألق سعادة، فقد كانت تعلم كم تعني هذه المشاريع لكين، ومثل هذه الاخبار الطيبة عن العمل تتوج خبر مجيء الطفل ستجعل كين، بلا شك في غاية السعادة. وعاد جاك كونواي يقول وهو يغمز بعينه، مازحاً:«ان حكم ماريوت على الناس لا يخطىء ابداً، مثلي انا، والدليل على ذلك اختيارنا لك، نحن الاثنين.» وقهقه ضاحكاً.

تنهدت ليزا بأسى، فرغم سرور جاك كونواي بها، فقد كانت واثقة من ان مدير الشركة الدولية المختلطة لن يعجبه منظرها حامل في قسم السكرتارية، وهذا دون شك يعني نهاية عملها هنا، وعلى كل حال،

ربما يصر كين على توقفها عن العمل، فهو لا يريد ان يجازف بابنه بأي شكل، اما ما الذي ستفعله بنفسها الى ان يأتي الطفل، فلم يكن لديها فكرة. حدثت نفسها بأنها ستفكر في شيء مناسب، رغم انها ستفتقد ذهابها اليومي الى العمل، ولكن من ناحية اخرى اصبح لديها الآن مسؤولية اكثر اهمية.

عندما وصلت الى البيت كانت الانوار مضاءة، ولكن كين لم يندفع الى الخارج لملاقاتها، ربما كان في الحمام، فهرعت داخلة من باب المطبخ ملقية بأكياس الخضار الطازجة التي اشترتها لتطهي العشاء، على المنضدة، وكانت في طريقها الى السلم من خلال غرفة الطعام، عندما رأت كين ينهض عن إحدى الآرائك الجلدية في غرفة الجلوس.

قالت بدهشة وهي تقف فجأة، وقلبها يخفق بالسعادة والبهجة:«انت هنا؟»

اجاب بلهجة متعبة تشوبها السخرية:«نعم، انا هنا.» لم تبد في عينيه اي بهجة لرؤيتها، كان يبدو منهكاً بالغ الإرهاق وقد برزت عظام وجنتيه لشدة النحول.

تلاشت بهجتها، كان ثمة امر سيء وسيء للغاية. نظرت اليه وهو يتقدم نحوها، واحست بالتوتر الذي يتملكه.

سألها: «هل امضيت يوماً متعباً؟»

اجابت:«كلا.» ولكنها كانت تعلم انه لم يكن يستمع إليها، وانه نطق بهذه الكلمات ليغطي بها افكاره. فقد كانت في عينيه نظرة هوجاء ثابتة.

قال لها وهو يمر بها:«سأحضر لك شيئاً تشربينه.» لكنه لم يتوقف ليرحب بها، وحدّقت هي في اثره غير مصدقة، وقد تملكها الألم، ما هذا النوع من الترحيب من هذا الرجل الذي غاب عن زوجته ثلاثة اسابيع؟ واستولى عليه قلق مخيف وهي تتبعه الى المطبخ، لا بد ان كين في ازمة عميقة، ذلك ان اول ما تدفعه اليه طبيعته في اوقات الخطر هو الانعزال عن الآخرين، إذ كان لا يطيق احداً بجانبه، ذلك انه إذا كان ينحدر في الحياة، فكبرياؤه تريد منه ان ينحدر وحيداً.

نظرت اليه وقد جمد الدم في عروقها، لم تكن هناك مشاركة حقيقية بينها وبين كين، فهو يختار ما يمكن ان يشاركها به وما لا يمكن. كين ذو العزيمة المتينة، كين الذي لا يعرف حلاً وسطاً، فإما ابيض وإما اسود، اما الرمادي فلا مكان له عنده. فإذا كانت السفينة ستغرق، فهو اول من ينزل النساء الى قوارب النجاة، دون اعتبار ما إذا كن يفضلن الموت مع ازواجهن الذين يحببنهم، ذلك لانه لم يعرف الحب ولا يفهمه.

سألته بهدوء:«ما الذي حدث يا كين؟»

لوى شفتيه ساخراً وهو يقول متمهلاً:«آه، انها الاحوال عامة.»

شعرت ليزا وكأن قبضة حديدية عصرت قلبها، «ولماذا جئت الى البيت إذن؟»

قال بعنف:«كان عليّ ان اتحدث اليك، ولم استطع ذلك في الهاتف.»

ارتفعت يد ليزا الى بطنها وهي تفكر في ما ستخبره به وجهاً لوجه ولكن من الواضح ان هذا الوقت لم يكن مناسباً لذلك.

وجاءها بكوب عصير، فاخذته من يده وهي تقبض اصابعها بشدة توقفهما بذلك عن الارتجاف، نظرت الى وجهه الجامد، محاولة ان تتفحص عينيه السوداوين، ففشلت، وسألته بقدر إمكانها من الهدوء، مخفية بذلك مشاعر الانزعاج التي تملكتها، سألته قائلة:«ما الذي تريد ان تحدثني شخصياً عنه، يا كين؟»

قال بسرعة وبلهجة بالغة الخطورة:«انني بحاجة إلى معلومات عن مشروع وينجيكاميل، يا ليزا، انني بحاجة الى ان اعلم، بحاجة الى ذلك الآن.»

انه لم يعد الى البيت لاجلها إذن، لان يكون معها، لقد عاد الى البيت لان عمله كان معرضاً للخطر بإمكانها ان تنقذه، وشعرت بالألم في معدتها، انه لم يستقبلها بالحب والتدليل، لانها كانت ثانوية

ضحك ساخراً، ثم تابع ببطء وهو ينظر الى ليزا بسخرية:«كلمتك... اراهن على انه قد استمتع بهذا. انه يعشق ان تكون له سلطة القول نعم او لا للرجال امثالي، اتعرفين لماذا يا ليزا؟»

كان هذا سؤالاً لا يحتاج الى جواب، لم يكن بحاجة إلى تشجيع ليتابع قوله:«لانه يحسدنا، لانه لا يملك الشجاعة للخروج من تحت جناح الشركات الكبرى الواقي. آه، كلا، ان جاك كونواي يفضل الامان.»

ثم عاد يواجه ليزا وعيناه تلمعان استهزاء:«ليس هناك سوى مشكلة واحدة معه، يا ليزا وهو ان لديه السلطة، ولكن ليس الربح، وهذا يؤلم جاك كونواي في الاعماق، انه لا يريد ان يلقي بنفسه في ميدان المغامرة ولكنه يكره نجاح اولئك الذين يفعلون ذلك، لانه يعلم انهم يربحون اكثر مما يمكن ان يملأ جيوبه من وراء راتبه، بالرغم من مكانته الرفيعة.»

لم يكن لذلك علاقة بها، لم تكن تهتم بلعبة السلطة عند الرجال، فهي تهتم فقط بالزواج الحقيقي الذي لم تحصل عليه.

اصبح صوت كين الآن مقنعاً رقيقاً وهو يقول:«الا تظنين ان عليك ان تكوني اكثر وفاء لي منك له، يا ليزا؟ انني تحت الخطر الآن، ومستقبلنا رهن الاحداث.»

حدثت ليزا نفسها تصحح كلامه،ليس مستقبلنا وإنما عمله الغالي عليه. فإذا كان كين يحبها، لما كان مستقبلهما رهن الاحداث على الاطلاق، ذلك انهما كانا سيجتازان المحنة مهما كانت سيئة.

اجابته باكتئاب:«الموضوع، بالنسبة إليَ، لا يتعلق بالوفاء، يا كين، وانما هي الكرامة... كرامتي.»

صعد الإحمرار الى وجنتيه، وازداد تألق عينيه وهو ينكر عليها قولها بعنف:«ليست هذه مسألة كرامة، فأنا لن استعمل المعلومات للإضرار بالشركة الدولية المختلطة بأي شكل كان، كل ما اريده هو ان اعرف وذلك لاتمكن من التخطيط في اي ناحية اتوجه، فإذا كان مشروع وينجيكامبل لا يأتي إليَ، يا ليزا، فعليَ ان اتخذ خطوة يائسة لانقذ ما استطيعه، ولكن إذا حصلت على المشروع فسيكون لدي مجال لاتخاذ خطوة بارعة.»

عندما لم تتجاوب معه بسط يديه الاثنتين يناشدها ان ترى المنطق... وفكرت هي ان كين يمكنه ان يجد منطقاً لكل شيء. فالمنطق هو الذي جعله يقوم بكل ما قام به، حتى الزواج منها، ذلك المنطق الجامد عديم الشعور.

«ليزا، لقد صدر القرار. لا بد انه صدر الآن، ولم يبق سوى صدور بيان بذلك من الشركة عن الجهة التي

بالنسبة لما هو اهم لديه، فالاشياء المهمة تأتي اولاً. حدثها عقلها بأن من الغباء ان تشعر بكل هذا الاستياء، فقد كان كين اخبرها بالحقيقة قبل ان يعرض عليها الزواج، وانه يقدم عمله عليها، ولكن معرفتها بذلك لم تمنع قلبها من ان يبكي بدموع من دم.

رفعت إليه عينين حمراوين اكتسبا لونهما من نزيف حبها: «الهذا تزوجتني، يا كين؟ لكي تحصل على معلومات مني عند الحاجة؟»

كان الشك ساورها في ذلك عندما عرض عليها الزواج، ولكنها نبذت هذه الشكوك لانها لم تشأ ان تصدقها، كما ان جاك كونواي قد ارتاب في ذلك هو ايضاً، وقد كان برر هذا الامر بالنسبة الى نفسه وهو يستغلها، ولكن ليزا قد اصرت على ان كين كان مختلفاً عن جاك كونواي. وانها كانت حقاً تعني شيئاً عند زوجها.

اخذت تراقب ما بدا على زوجها من رد الفعل لسؤالها هذا، وكأنها مجرد متفرجة تقريباً، توترت ملامحه وبدا الغضب في عينيه، ام لعله الاحباط؟ واحست بنفسها تموت من الداخل. وتخدرت حواسها، لم تستطع ان تعرف ما شعر به كين. وهل كان بإمكانها ان تعرف؟.

وانفجر بها ثائراً.«كفي عن هذا، يا ليزا، فهو لاجلنا معاً.»

ردت عليه ببرودة:«احقاً، يا كين؟ يبدو انني اذكر بأنني زوجتك في السراء والضراء، كما يقول عقد الزواج، وبالنسبة إليّ لا يهمني سواء كنت ناجحاً في عملك ام لا.»

قال بعنف:«انك زوجتي، لقد تزوجتك لانني اردتك زوجة لي، وانا اتوقع من زوجتي ان تقف بجانبي عند الحاجة إليها، فهل ما سألته هو كثير عليك؟»

كانت تعرف انه يكره ان يطلب منها شيئاً، فهذا يمس كبرياءه، وهو ما كان ليفعل لولا حاجته الى ذلك، وعند الجهاد في سبيل البقاء، ولكنه بالطبع كان يضع هذا دوماً في احتماله كسلاح إنقاذ، واخذت تفكر (بعد يوم واحد فقط. غداً من المفروض ان يتصل به جاك كونواي، ولو كان اتصل اليوم لما كنت سأعلم قط بأن كين قد تزوجني لاجل هذا الامر. فيا لها من سخرية مرة.)

قالت له بعنف:«لقد اعطيت جاك كونواي كلمتي بأنني لن اخبرك بذلك.»

«جاك كونواي؟ اتظنين ان وعدك هذا له يهمه بشيء لو انه استطاع تحويل الامر الى مصلحته؟ هذه لعبة يقوم بها المنتصرون يا ليزا، وجاك كونواي يعرف هذا، وانا اعرفها.وكل شخص يصل الى مركز ما، يعرفها، وانت تعرفين كما اعرف، انه استخدمك كورقة لعب في يده.»

ستعطي العقد ولن يشكل هذا، بالنسبة إلى الشركة اي فرق فيما لو عرفت ذلك الآن، لا فرق مهما يكن.»

كان منطقاً هادئاً واضحاً اسكت نقاشها عن الكرامة لينفذ الى قلبها، مباشرة، ليقتل كل رجاء في ان يحبها، واخذ هو يتقدم اليها ومازال باسطاً ذراعيه وقد تعمد تلطيف اساريره وهو يسألها برقة:«هل اطرد عمالي ام احتفظ بهم، يا ليزا؟ هنالك اعمال كثيرة يمكنني القيام بها إذا حصلت على مشروع وينجيكامبل، وبعكس ذلك لا استطيع، وستدب في اعمالي فوضى إذا انا طردت عمالي، ثم اصبح علي ان اعود لاستئجارهم.»

كان مايزال يتقدم نحوها، ورأت هي انه سيحاول اقناعها مجدداً. ورأت في هذا منتهى النفاق، فهو لا يحبها. انه لم يدع مشاغله جانباً ليستقبلها كما يستقبل الزوج زوجته بعد فراق ثلاثة اسابيع، حتى ولو للحظات قليلة.

وهكذا رمقته بنظرة قاسية وهي تقول:«إياك ان تفعل، يا كين.»

قطب جبينه:«ان افعل ماذا؟» ولكنه كان يعلم، فوقف جامداً، وعيناه السوداوان تخترقان عينيها بقوة وإلحاح، ملتمساً اي مشاعر ضعف فيها، كما ظنت ليزا، كلا ليس هذه الليلة يا زوجي العزيز، حدثته

بذلك بصمت، وهي تشعر بأن قلبها الجريح ليس لديه القوة التي يسيطر بها على عقلها، هذه الليلة.

سألته ساخرة:«لماذا تحملت عناء المجيء إلى بيتك؟ لماذا لم تسألني في الهاتف هذا الصباح؟ من المؤكد ان هذا افضل عملياً واقتصادياً.» فعبس وبدا عليه مزيج من الضيق واليأس.

«ما كان هذا ليعجبك، يا ليزا؟»

«وكذلك لم يعجبني غيابك عني ثلاثة اسابيع يا كين ولكن هذا لم يجعلك تأتي الى البيت لليلة واحدة، واظنك جئت الآن لليلة واحدة، وان عليك ان تعود غداً.»

«نعم، اما بالنسبة لعدم مجيئي قبل الآن، فقد شرحت لك الوضع، يا ليزا.»

فأومأت:«العمل اولاً، كالعادة على الدوام، وهذا لن يتغير، اليس كذلك، لقد جئت الى البيت لاجل عملك...»

قاطعها بحزم:«بل (عملنا)، يا ليزا.»

مد يده اليها، فتراجعت الى الخلف، وقد اشتعلت عيناها برفض عنيف، «اياك ان تقترب مني، يا كين، انك لم تأت الى البيت لاجلي، فإياك ان تقدم على شيء، وإلا انتهى كل شيء بيننا، وان كنت اظن ان كل شيء قد انتهى، على كل حال، ولكن إذا كنت ترجو خيراً من وراء هذا الزواج، فلا تستعجل لانه على شفا الهاوية، مثله في ذلك عملك الغالي...»

توترت ملامحه، والتمعت عيناه بكبرياء عنيفة:«ماذا يعني هذا؟ لقد طلبت منك العون، فإذا به يصبح نهاية زواجنا؟»

«لقد كنت تكره هذا، اليس كذلك؟ انك تكره ان تطلب عوناً مني.» وكان هذا منها اتهاماً مراً.

فقال:«نعم.»

«ان الزواج هو مشاركة يا كين، مشاركة في الحلو والمر.»

اجاب باستياء:«اليس هذا ما افعله معك الآن؟»

«هذا بداعي الضرورة فقط، لكي تنقذ عملك.»

فصاح وهو يضرب المنضدة بقبضته:«قولي (عملنا).»

ثم تمالك نفسه وهو يتابع قائلاً بصبر نافد:«كم من المرات عليّ ان اقولها؟ ان هذا يؤثر على مستقبلنا، يا ليزا، الا تهتمين بهذا الامر قدر اهتمامي به؟»

فصرخت:«نعم، اهتم، اهتم كثيراً جداً.» واغرورقت عيناها بالدموع. «لقد اعطيت كلمتي تعهداً لجاك كونواي، تماماً كما كنت اعطيتك كلمتي تعهداً، يوم الزفاف، يا كين، فإذا كنت لا افي بعهد واحد، فما نفع عهودي الاخرى؟ ماذا تعني الثقة إذا لم تكن شاملة؟ كنت اظنها تعني شيئاً لك، لكي يمكنك ان تثق بي حتى...» واختنقت الكلمات في حلقها.

فقال ضارعاً:«ليزا.» ثم هز رأسه وقد بان

عليه العذاب «انني بحاجة الى ان اعلم...» فكرت ببلادة في انه سيعلم غداً، وبإمكان ذلك ان ينقذ عمله الهام للغاية.

قالت والبرودة تسري في جسمها:«عد الى ملبورن يا كين، مازال بإمكانك ان تأخذ الطائرة الليلة.»

لم تكن تطيق البقاء معه لحظة واحدة بعد الآن، واستدارت متجهة نحو السلم وساقاها ترتجفان.

«ليزا...»

تجاهلت الضراعة الخشنة في صوته، لم تكن بحاجة إلى مزيد من الكلمات منه، لم تكن تريدها، فقد فهمت كل شيء الآن، وهذا الفهم جعلها تشعر باشمئزاز لم تشعر بمثله في حياتها، ناداها مرة اخرى بعنف:«ليزا...»

فاستطاعت بعد جهد ان تسرع في خطواتها، كان عليها ان تصعد السلم إلى الحمام قبل ان يلحق بها، لقد أبت عليها كرامتها ان يراها كين في محنتها، وناداها مرة اخرى، ولكنها كانت قد وصلت الى الحمام امامه فدفعت الباب ثم اقفلته خلفها وقد تملكها الذعر.

سمعت طرقات كين على الباب وهو يناديها، ولكن مهما كان يقول، لم تستطع سماعه للدويّ الذي كان في اذنيها، وكان التعرق يبلل وجهها، وخافت ان

يغمى عليها، فجلست على حافة الحوض وهي تغالب الدوار.

كان ثمة دفع عنيف للباب الى ان خلع القفل فانفتح الباب ليدخل كين منه ووجهه غاضب وقد تملكته المشاعر الصاخبة، بينما تشتت عقله.

صاح بها:«إذا لم تشائي ان ازعجك، فهل تظنين انني سأفعل ذلك؟ ليس ثمة حاجة لإقفال الابواب بيننا، ولن يكون ابداً إقفال ابواب في حياتنا الزوجية، ما الذي تظنينه...»

وسكت فجأة وهو يرى شحوب وجهها الهائل وترنح جسمها، وسرعان ما تحول صراخه الغاضب الى لهجة ترتجف بالاهتمام:«ليزا، ان مظهرك.. لماذا لم تخبريني بأنك مريضة؟»

رفعت إليه عينين كئيبتين متبلدتين:«يبدو ان هذا من اعراض الحالة.»

هز رأسه من دون ان يفهم شيئاً:«ما الذي تتحدثين عنه؟»

فكرت بسخرية، يا لها من طريقة تخبره بها... دون بهجة ولا سعادة تتطلع اليها، كان الامر مجرد ابلاغ امر واقع.

«انني حامل.»

رأته يدرك ان هذا ما كانت تريد ان تخبره به هذه

الليلة ولكن انشغاله بمشاكله لم يتح لها فرصة الإفصاح به. وبدا على ملامحه ندم مبرح، ربما كان حصوله على ابن هو اكثر اهمية من عمله، كما رأت ليزا، ولكن ليست هي، فهي ليست بذات اهمية لديه، فهي مجرد وسيلة لما يريد، الابن والعمل، عمله والحياة الجديدة المشرقة التي يريدها لإبنه.

تقدم وجلس بجانبها، وقد امتلأت عيناه بالألم، ثم قال بصوت خافت شجي:«انني آسف، يا ليزا، لقد افسدت بشارتك هذه اليس كذلك؟ اخبريني كيف اصلح ما فعلت.»

قوّض هذا ما بقي لديها من سيطرة على نفسها، إذ كانت من الضعف بحيث اغرورقت عيناها بالدموع، لم تستطع ان تتكلم. وشعرت بغصة في حلقها الذي كانت تريده منه.

لم ينتظر كين جواباً، فساعدها بكل رقة وحنان، للوصول الى غرفتها، ثم احضر منشفة مسح بها جبهتها المبللة، وبعد ذلك صنع لها كوباً من الشاي وشجعها على ان تشربه، ثم طهى لها وجبة طعام خفيفة من العجة واحضرها اليها على صينية حيث اخذ يراقبها بقلق واهتمام وهي تبذل جهدها في الاكل.

اخذت تتأمل ساخرة وهي ترى تمريضه لها، متذكرة

سخريته من تريفور وودبري الذي يقوم بمثل هذا العمل بالضبط نحو شقيقته جينا، ولكنها ما لبثت ان تذكرت ان كين لم يكن يمرضها هي، وإنما طفله منها، اما هي فمجرد المرأة التي ستنجبه، ولهذا عليه ان يعتني بها.

ومع ذلك فقد كان بالغ الندم، بالغ الاهتمام وكانت ليزا بحاجة الى شيء من الاهتمام منه بها، بحيث تقبلت كل ذلك منه، حتى انها لم تعارض حين كلامه حين قال:«ليزا، انك كنت على حق، ما كان لي ان اطلب منك خيانة ثقة اي شخص فيك، فلو لم تكوني بهذه الصفة... ان هذا في منتهى الاهمية بالنسبة إلي يا ليزا، ارجوك لا تظني انني لا اقدرك حق قدرك، لا يوجد سواك اثق به...»

كاد قلبها يتحطم من فيض العواطف المتدفقة في حديثه، لم تستطع ان تتكلم. فقد كان ارتياح مشاعرها عميقاً. قد لا تحصل على حبه، ولكنها على الاقل اكتسبت ثقته واحترامه لها، اما هذا الجنين فهو طفلها كما هو طفله، وقد استقر وانتهى الامر، وهكذا فات الاوان لكي تنقض تعهداتها الزوجية رغم ان كين لا يحبها، ولكن كان من السهل ان تنسى، وهي بقربه، ما لم تحصل عليه، فهو مازال زوجها على الاقل، وهي زوجته، وهذا لا يمكن ان يؤخذ منها،

كما اخذت ليزا تفكر، ما اثلج صدرها وجعل الرضا يغمرها، اما لماذا احبت كين الى هذا الحد، فهذا ما لم تكن تعرفه، وتساءلت عما إذا كانت جينا تعرف لماذا تحب اخاها، ام لعل الحب لا تعليل له على الاطلاق.

(كان عليّ ان احمي كين...)

تجاوبت كلمات جينا هذه في ذهن ليزا فمنعها ذلك من النوم. واشرق في ذهنها بغتة ان الحب يقلل من الخيارات، وهو سيطرة تقلص اهتمامات الانسان الى شيء لا معنى له، جوهره الكلي هو في العطاء.

ما كانت جينا لتبقى مع والدتها وزوج والدتها لو لم يكن لديها سوى نفسها تهتم بها، لم يكن ذلك ضعفاً منها... كلا! فقد لمحت ليزا القوة في اعماق جينا، القوة التي كانت وليدة الحب، والذي يتحمل كل ألم إذا كان في هذا حظ افضل للشخص الذي تحب.

كان كين قد قدم مثل هذا الحب لشقيقته، فقد كان مستعداً للتخلي عن تعليمه لاجلها، ولكن جينا كانت فضلت ان تضحي بنفسها على ان تدعه يفعل ذلك. وقد حطمها هذا، وجعلها تفقد شقيقها الذي تحب لانه لم يفهم تضحيتها، وإلا لكان قابل ذلك بالرفض وما كان ليقبل تلك المحنة المأساوية من الحب، لو كان يعلم.

ربما المرأة المحبة فقط من تفهم ذلك... امرأة عرفت

ان الحب هو عطاء، وكان هذا هو السبب في ان جينا توقعت منها ان تفهم.

وفهمت ليزا.

وحيث ان كين لم يعد يريدها ان تضحي بكرامتها، فلديها شيء تريد ان تعطيه له من دون خيانة لاي ثقة.

«كين؟»

«نعم.»

«قال جاك كونواي انه سيتصل بك غداً، انه لم يطلب مني ان اعده بألا اخبرك بذلك، ولهذا الافضل ان تستقل اول طائرة في الصباح، فتكون هناك لتستقبل الهاتف، انه... انه هام بالنسبة اليك.»

«اتعنين انني...سأعلم ما افعل برجالي غداً؟»

«نعم، ولكن الافضل ان تتصرف وكأنك لم تكن تعلم بأن المكالمة الهاتفية قادمة.»

ساد صمت قصير قال بعده:«ليزا صدقيني، لن افعل متعمداً، اي شيء يسيء اليك.»

كان في صوته نبرة عميقة من الاخلاص، وقد صدقته ليزا، ذلك ان كين لا يمكنه ان يغير من طبيعته، ولكنه حقاً، لم يتعمد الإضرار بها، فقد كانت زوجته، وهذا يعني شيئاً كثيراً بالنسبة إلى كين، كما ادركت ليزا بفيض مفاجيء من الرضى، وإنما هو فقط لا يعلم... او يفهم... بعض الاشياء كما حدث مع جينا...

كان من الخطأ ان تعاني جينا من جفاء ومقاطعة شقيقها لها بعد كل ما عانته من آلام، واقسمت ليزا بينها وبين نفسها، ان تصلح بشكل ما، هذا الامر. انها الآن ستنجب لكين طفله، وستحاول جهدها ان تجعل كين يعطي شقيقته العدالة التي تستحقها، وهي لن تدعه يلغي شقيقته من مستقبلهما، فقد اكتسبت جينا مكانها في اسرتهما.

العدالة، ينبغي ان يكون هناك عدالة، وهذا ما فكرت فيه ليزا، وقد لا يفهم كين ابداً الحب ولكن لديه تقدير بالغ للعدالة.

john lee

الفصل العاشر

قام جاك كونواي، في اليوم التالي، بكل الإتصالات الهامة، وبعد ذلك اتصل كين بليزا لكي يشاركها الخبر السار، ويخبرها بأنه سيعود الى البيت لقضاء عطلة آخر الاسبوع، وبالنسبة الى ليزا، كانت عطلة الاسبوع تلك بمثابة الراحة، فقد نال كين ما يريده، وذلك بالنسبة إلى عمله والى حصوله على اسرة، وكان هذا قد احدث في زواجهما تغييراً بالغاً، اما الطريقة التي اخذ كين يعاملها بها، فقد كانت بالضبط، هي ما تحلم به كل امرأة من زوجها.

وكما كانت ليزا تتوقع، فإنها لم تستطع الاحتفاظ بعملها مدة طويلة، ومع ان كين قال لها ما لم تكن تتوقعه، وهو ان تفعل كل ما يجعلها تشعر بالسعادة، فإنها لم تشعر بأنها من الصحة بحيث تمنح عملها العناية اللازمة، وهكذا قدمت استقالتها بعد اسبوعين فقط من علمها بالحمل، وعندما علم جاك كونواي بسبب رغبتها في الاستقالة، هنأها بشيء من الاسف وتركها تذهب من دون التمسك بشروط العقد الذي بينهما.

كانت ليزا تشعر بالدوار كل يوم، وقد اوصتها والدتها

بأن تتناول فنجان شاي وقطعتين من البسكوت قبل ان تترك الفراش في الصباح، وهكذا خلصها من اسوأ عوارض الحمل، اما الدوار فقد كان مماثلاً للذي كانت تشعر به في طفولتها عندما كانت تستقل السيارة، وما لبثت ليزا ان وجدت في حبوب الحلوى بعض الفائدة.

اشترى لها كين الكثير منها حتى خيل إلى ليزا انها تكفيها لعدة مرات من الحمل، ولكنها لم تستطع قبول مبالغته هذه دون تذمر، فقد كانت هذه طريقته في العناية بها كأفضل ما يستطيع. وعندما يكون في البيت كان هو يحضر اليها كل صباح، الشاي والبسكويت.

لم تستطع الا ان تتذكر كيف ان كين اخذ يتهكم مرة لفكرة إحضاره فنجان الشاي اليها كل صباح، قائلاً ان هذه ليست فكرته عن الحب، ولكن صحتها اصبحت الآن همه الاوحد ولكن ليزا لم تخدع نفسها بأن ذلك كان من مظاهر حبه لها، فقد كانت تعلم ان كل هذا لاجل الطفل الذي كانت حامل به. الطفل الذي ستصبح ولادته بشرى سارة بحياة كين الجديدة النظيفة.

ومع ذلك، لم تدع هذا يشغلها كثيراً، ذلك انها الآن تعيش في نعيم من اهتمام كين ورعايته المحبة حتى

ولو كان ذلك سينتهي بعد ولادة الطفل مباشرة، ربما حينذاك سيكون قد ابتدأ كين يحبها لنفسها وليس فقط لانها ام ولده.

لم تنس ليزا جينا، فقد بقيت المشكلة في ذهنها، تنتظر الحل عندما يحين الوقت. وبقيت تفكر في كيفية جذب جينا وتريفور للانضمام الى اسرتهما، ولكنها كلما فكرت في ذلك، تبرز المشاكل، ما يجعلها تدع هذا الامر جانباً، فالعدالة لا تجلب دوماً السعادة.

لم يكن تريفور من النوع الذي ينسجم معه كين، ولم تستطع ليزا ان تتصورهما صديقين، وعدا عن ذلك، فقد رأت ليزا كم كان المستقبل مؤلماً لهما هما الاثنين، وتبادل الزيارات بينهما قد يجدد لديهما تلك الذكريات والتي لا يرغب فيها اي منهما.

كانت جينا سعيدة مع تريفور، كما ان كين سعيد مع ليزا حالياً، فلتدع الامور هادئة إذن، كما كانت ليزا تحدث نفسها، وما حدث بين الاخوة هي امور لا علاقة هي بها، وساورها الشك بما لو ان احداً منهما سيشكرها لتدخلها هذا.

كانت ليزا في شهرها الرابع عندما توقفت اعراض الحمل، من غثيان ودوار، وعادت صحتها جيدة كما كانت من قبل، ذهبت الى الطبيب للقيام بإجراء فحص عام عليها وعلى الجنين، فكان كل شيء

على ما يرام. ما جعل كين سعيداً طوال النهار. واثناء العشاء تلك الليلة بالذات، وكين مازال ضاحكاً مبتهجاً فكرت ليزا في إعادة جينا الى ذهنه مرة اخرى، لقد كان من الطبيعي بالنسبة اليها، ان تشارك اسرتها كل خبر طيب ما جعل الكلمات تنزلق منها قبل ان تمنعها الحكمة من هذا الاندفاع.

«لا بد ان شقيقتك تحب ان تعلم بالامر، يا كين فلماذا لا تتصل بها و...»

وإذا بالتغير الذي طرأ على ملامحه، يسكتها على الفور، فقد عبس في وجهها قائلاً:«ليس لجينا اي دخل في حياتنا معاً، يا ليزا.» وكان صوته وهو يقول ذلك، منخفضاً خطراً.

شعرت ليزا بالدم يتصاعد الى وجنتيها حينما اخذت الحاجة لحماية سعادتها مع كين تتعارض مع عطفها على شقيقته، وحدثها المنطق بأن تتراجع وبسرعة...ولكن...

«لقد اتصلت الى هنا عندما كنت انت في ملبورن، وكان الامر محرجاً بالنسبة إليّ، فقد كان عليّ ان اوضح اننا متزوجان و...»

فقاطعها قائلاً:«ما الذي جعلها تتصل؟»

«لا ادري، الم تتصل بك منذ ذلك الحين؟»

«منذ متى كان ذلك بالضبط؟»

«بعد اربعة اسابيع من زواجنا، انني اتذكر ذلك لانها سألتني.»

فهز رأسه قائلاً بحدة:«لم اتحدث مع جينا منذ العيد الماضي.»

«آه.» وازداد شعور ليزا بالألم بعد ان ادركت سبب لهفة جينا الى التعرف اليها، فقد تغلبت الرغبة في ذلك، بالنسبة إليهما هما، على الفطنة والحذر. وشعرت ليزا بقوة ترغمها على الاعتراف لكين بما فعلت، فقد كان الافضل ان يعرف الآن من ان يعرف فيما بعد فيظن انها كانت تصرفت من وراء ظهره، فتابعت تقول:«لم اكن اعلم انكما لم تكونا على اتصال الى ذلك الحد، لقد طلبت مني جينا إذا كنت ارضى بتناول الغداء معها، فقبلت.»

قال بغضب عنيف:«اريد ان اعلم ما الذي جعلك تقبلين؟»

لم تره محقاً في قطع علاقته بقريبته الوحيدة، هذا اولاً، ثم إرغامها على ذلك هي ايضاً، لقد جعلها في وضع لا يطاق، لقد كانت ليزا من الوجهة الانسانية، على حق في عملها هذا، ومهما كان رأي كين في ذلك، الا ان ليزا لم تندم لهذا العمل، وهكذا واجهته بثبات، ثم اخذت تعدد اسبابها:

«لانها طلبت مني ذلك، ظننتها بحاجة الى معونة، ثم

هي شقيقته، وقد شعرت بالذنب الى حد هائل لاننا لم ندعها الى حفلة الزفاف، وكذلك تملكني الحرج لانها لم تعرف بزواجنا. ولهذا لم اجد ضرراً في الاجتماع بها، لقد اردت ذلك حقاً.»

فقال ساخراً:

«لا بد انك استفدت كثيراً من وراء هذه التجربة،وارجو ان تكوني قد اشبعت فضولك الآن.» كان كين ممتلئاً مرارة مما لحق بأسرته من عار. ومجرد تذكيره بذلك كان يزيد من جراحه، وهكذا آثر دفن الماضي وعدم نبشه بأي شكل كان، ولم تعرف ليزا ما عليها ان تفعله.

فقد كان اصدر حكمه على ما يجب ان يكون، وانتهى الامر. اما ان كان على خطأ ام على حق، فهذا ما لم تعرفه ليزا، ولكنها لم تستطع ان تمنع نفسها من الشعور بأن هذا ليس عدلاً، فاغرورقت عيناها بالدموع، يبدو انها قد اصبحت مرهفة المشاعر هذه الايام، لم تكن تريد مجادلة كين، وهكذا نهضت متثاقلة واخذت تجمع الاطباق عن المائدة.

اندفع كين واقفاً، واخذ الاطباق منها، ثم وضعها بعنف على المائدة، نظرت إليه وقد تملكها الانفعال، اعتذر وهو يقول:«انني آسف، فقد جرحت إحساسك، بينما انت منحتني افضل يوم في حياتي.ليس الامر

بهذه الاهمية، يا ليزا انني اعرف ان نيتك كانت حسنة.»

قالت وقد تملكتها غصة:«كين...انني اعلم ان هذا ليس من شأني، ولكنني رأيت جينا فتاة رقيقة للغاية، فقد كانت سعيدة لانك وجدت من ترغب في الزواج منها، ويبدو انها تدرك انك لا تريدها في حياتك، وكانت حزينة جداً لذلك. لقد رأيت ان عليها ان تعلم بمسألة الطفل، وإذا كنت لا تريد ان تخبرها...» هزت رأسها عندما ازدادت دموعها انهماراً.

ومرة اخرى قال لها برقة:«لا تبكي يا ليزا، إذا اردتني ان اخبر جينا، فسأخبرها.»حاول ان يكون لطيفاً معها بينما كانت هي تجاهد في سبيل تمالك نفسها، بينما كان يتابع قوله.«عليّ ان اتصل بها، فقد تكون بحاجة الى شيء. وسأتصل بها الآن إذا شئت.»

فهتفت تقول:«نعم، إذا لم يكن لديك مانع، لم اكن اقصد التدخل، يا كين.»

«لا اظن ان بإمكانك تفهم هذا الامر.» قال ذلك بشيء من الالم. «فهذا ليس جزءاً من عالمك، انني لا اريد ان يكون هذا الامر جزءاً من عالم احد.»

فهمست:«انا آسفة.»

«لا تقلقي بالنسبة لهذا... عليك الا تقلقي لاي شيء.» واجلسها على كرسي، قائلاً:«سأحضر لك

فنجان شاي، اجلسي وهوني عليك الامر يا ليزا.» جمع الاطباق ثم توجه بها نحو المطبخ، ولم تعترض ليزا، شاعرة بأنها ترتجف بشكل سخيف، رأت القوة تنقصها بشكل كامل، رغم ما كانت قالته جينا عنها، ولكن الحمل ليس امراً سهلاً، فهو اذا لم يحدث الاضطراب في جسمها فهو يحدثه في مشاعرها، ولكن سرها ان اثار هذا عواطف كين، ما احدث التوازن بينهما.

احضر لها فنجان الشاي، ثم توجه الى الهاتف مباشرة.

لم تشعر ليزا بأي خطأ في الاستماع الى ما اخذ كين يتحدث به في الهاتف، مهما كان شعور كين نحو جينا، الا ان نبرة الزهو كانت بارزة في صوته وهو يخبرها بأن ليزا حامل.

لقد كان كل ما يهم كين هو ان يكون له ولداً من لحمه ودمه، وقد اصبح الآن هذا الجنين شخصاً حقيقياً، بالنسبة اليه.

ساد صمت طويل اثناء جواب جينا، ومهما يكن طبيعة ما قالته فقد ترك ذلك تأثيراً ملحوظاً على ملامح كين وهو يقول بصوت اجش:«شكراً يا جينا.» ثم تنحنح قبل ان يسألها عن السبب الذي كان جعلها تتصل به عندما كان هو غائباً.

مضت عدة دقائق لم يتخللها سوى كلمات لا معنى لها في محاولة منه ليقطع حبل حديثها الطويل ولاحظت ليزا ان ما كان يسمعه، لم يعجبه، وسمعته يقول اكثر من مرة كلمة (نعم) ثم ما لبث ان اوقف المخابرة.

نظرت إليه مستطلعة، ولكن كين كان هائماً في عالم آخر، وادركت ليزا على الفور ان هناك امراً مزعجاً، فقد كانت ملامحه متوترة، وعيناه بحيرتين سوداوين لا يسبر غورهما، بينما العنف يتفجر من جسمه.

ثم قال لها:«عليّ ان اخرج الآن، يا ليزا.»

«ما الامر، يا كين؟ ماذا حدث؟»

«لم يحدث اي شيء سيء. ان هناك شيئاً عليّ ان اتأكد منه.» ثم توجه ليخرج، وهو يقول:«لا تنتظريني، فأنا لا اعرف متى اعود.»

قالت وقد ادركت ان الامر يتعلق بجينا:«اتريدني ان آتي معك؟»

فقال بحزم:«كلا.»تقدم نحوها يطمئنها:«انتبهي الى نفسك.» ثم خرج دون كلمة اخرى.

قد لا يكون هذا شيئاً يتعلق بها، ولكن هذا لم يمنعها من الشعور بالقلق الشديد، فهذا الامر الذي صرف افكار كين عن الطفل المقبل، لا بد ان يكون مشكلة

كبرى، ولكن كين قد انكر ان ثمة امراً سيئاً، وكين لا يكذب، وتمنت ليزا لو انها لم تتحدث عن جينا هذه الليلة، فقد افسدت بذلك الليل والنهار.

بالرغم من تعليمات كين لها بالا تنتظره، فقد حاولت ليزا ذلك إلى ان لم يعد بإمكانها ان تفتح عينيها.

كان الحمل يفسد عليها نظام نومها، فكانت تستيقظ مراراً اثناء الليل.

وعندما استيقظت، والساعة تشير الى الثانية والثلث تقريباً بعد منتصف الليل، لم يكن كين قد عاد بعد، فذهبت الى الحمام، ثم شعرت بقلق وانزعاج لتأخر كين، ما منعها من العودة الى سريرها، فهذا لم يكن تأخراً عادياً قط، نزلت الى المطبخ لتسخن شيئاً من الحليب، ولتجلس بعض الوقت، ولا بد اثناء ذلك ان يعود كين.

لكنها سرعان ما اكتشفت انه ليس في الخارج على الاطلاق، فقد كان في غرفة الجلوس وامامه فنجان الشاي، لم يسمعها وهي تهبط السلم، ذلك انه كان مستغرقاً كلياً في عالم كئيب خاص به.

كان التوتر يتملكه، وكأنه كان متلهفاً الى القتال ولكن كان يمنعه من ذلك شيء في خياله، وكان العبوس في وجهه نتيجة احباط مر. نادته ليزا برقة شاعرة بشيء من الخوف من هذا العنف الذي

يبدو عليه، راغبة في جره اليها وإلى العالم الذي يتشاركانه.

قالت له برقة فائقة:«كين؟»

رفع بصره اليها فجأة، وعبس في وجهها:«لماذا انت لست في سريرك، يا ليزا؟»

«لقد استيقظت فلم اجدك، فتملكني القلق.»

«ليس ثمة ما يدعو إلى القلق، فأنا لم اشعر بالنعاس بعد، وهذا كل شيء.»

نهض متثاقلاً، ثم وقف يقول:«هل احضر لك شيئاً؟»

فهزت رأسها نفياً، ثم تقدمت منه وهي تقول:«ماذا حدث يا كين، ارجوك ان تخبرني.»

ضحك باستخفاف وهو يقول:«لا شيء هناك، وإنما اخبرتني جينا بخبر طيب.» ولمع في عينيه ألم لم يستطع إخفاءه. «اتريدين ان تسمعي الخبر الطيب يا ليزا؟»

فأومأت وهي تجلس فيما هو سار الى المدفأة وقد بان عليه الإضطراب. حيث اتكأ على رفها وقد التوت ملامحه بسخرية وحشية وهو يقول:«ان تلك الاعذار لمن كانا يدعيان انهما والدانا، لم يكونا والدينا حقاً، فأنا وجينا ولداهما بالحضانة، وهي ليست شقيقتي، ايضاً، فلا يوجد علاقة دم بيننا.»

كانت ليزا تستوعب صدمة ما قاله، عندما اطلق هو

ضحكة اخرى خشنة:«كنت دوماً اظن ان هذا احد تخيلات جينا، وانه شيء ارادت ان تحمل نفسها على الإعتقاد به، ولكنه صحيح، ذلك ان تريفور لديه الآن كل الاوراق التي تثبت ذلك، فقد استطاع التوصل الى الملفات من خلال عمله، بعد ان صدق تصريحات جينا، وكان محقاً في تصديقه لها.»

ومنح ليزا ابتسامة ملتوية:«لقد كانا حصلا على البرهان عندما حضرا الى هنا وعرفا بأمرك. قالت انها ادركت حينذاك رغبتي في ان اقطع كل علاقة لي بالماضي، وهكذا فكرت بأن من الافضل الا تأتي على ذكر هذا على الاطلاق. ولكنها الليلة عندما اخبرتها عن الطفل، رأت من المهم بالنسبة إليّ ان اعرف ان طفلنا لا يربطه الدم بأولئك الحيوانات.»

اردف ساخراً:«فليفرح العالم، فهو الآن اكثر نظافة، وهذا هو الخبر الطيب.»

ولكن لم يكن يبدو عليه اي فرح، فهو لم يشعر على الاطلاق بأنه اصبح انظف، فقد اصبحت الكراهية التي يحملها لوالديه المزعومين، اكثر عمقاً، ما صبغ كل شيء بالسواد. ونظرت هي إليه من دون ان تقول شيئاً، لقد كان كين غاية في الالم.

«لقد انهى تريفور وجينا كل شيء... واخيراً... نعم، اخيراً وضحت الامور، البروفيسور ماريوت

المشهور واللامع قد اختارنا لنكون موضوعين هامين للدراسة. نكون مجموعتين مختلفتين من الجينات الوراثية ذات مزايا متعارضة، فأنا بطبيعة الحال، عدواني، وجينا سلبية. ما يشكل مجموعتين وراثيتين متضادتين... شيئان للدراسة والاختبار لرؤية ما سيحدث. هذا كل ما كنا نمثله، يا ليزا... حيوانات مخبرية.»

اطلق صوتاً يعبر عن الإشمئزاز والمرارة وهو يرجع رأسه الى الخلف وكأنه يصيح محتجاً على الحظ الذي وضعهما بين ايدي امثال اولئك القساة، وتابع يقول:«ان مجرد تفكيري في انني اخذت اتوسل الى ذلك الوحش الرهيب لكي ينقذ جينا...»

نظر الى ليزا، وكانت عيناه نافذتين تتدفق منهما آلام دون نهاية. «لم يهتم بإنقاذها، لقد اخبروها بدلاً من ذلك، بأنها إذا هربت، فأنا الذي سأعاني بسبب ذلك، وهذا هو السبب في انها بقيت واخذت ما كانوا يقدمونه لها من ادوية ... وكنت انا الومها لذلك، يا ليزا، لقد اثار غضبي عليها لإظهارها كل ذلك الضعف.»

اوماً برأسه والعذاب يحطم قلبه:«ضعيفة... آه، تباً لذلك.»

قالت تخفف عنه:«وكيف كان لك ان تعلم ذلك يا

كين؟ يبدو انهم قد تلاعبوا بمشاعركما لكي يسببا بأكبر ما يمكن من الاضطراب والمشاعر البشرية، وهذا هو السبب الذي جعلهم يرسلونك الى مدرسة داخلية وذلك لكي يعمق لديك الشعور بالعجز، والذي اضر بك اكثر من اي شيء آخر.»

فصاح يعنف نفسه:«ولكنني تركت ذلك النذل ينتصر، يا ليزا، لقد كنا انا وجينا شقيقين الى جانب بعضنا حتى ذلك الحين، لقد كان بيننا رباط ما كنا نسمح لهم بقطعه، ولكنني تركتهم يفعلون ذلك، فقط ظننت انها قد تخلت عني، ولكنني كنت انا الذي فعلت ذلك بها، لقد ادرت ظهري الى شقيقتي الصغيرة و...»

صاحت ليزا به بحرارة:«ولكن هذا لم يكن ذنبك، يا كين وانت لم تدر ظهرك لجينا، فقد كانت تساعدك طوال هذه السنوات...»

فهز رأسه قائلاً:«كل ما فعلته هو ان حاولت ان اخرجها من هذه الحمأة التي وضعت نفسها فيها، لم اعطها ما كانت بحاجة اليه مني، يا ليزا، لم استطع...» وبدا في صوته اليأس وهو يصرح بأسوأ ما في الامر. «لم اعد اشعر بذلك.»

لقد كانوا قتلوا فيه كل شعور ما عدا الكراهية، كما اخذت ليزا تفكر، كانت الكراهية هي ما كان يقتات بها طوال تلك السنوات. ثم الحاجة المحرقة الى تنفيذ

العدالة بهم، كما كان حبه الهامد لها هو الذي كانت تقتات به جينا الى ان ادركت انه لم يعد موجوداً لاجلها، وكانت عند ذلك في طريقها الى تحطيم نفسها لولا ان انقذها تريفور بحبه.

فهمت ليزا ثقل ذلك الشعور بالذنب الذي يحمله كين في نفسه، فحاولت ان تخفف عنه:«لقد سلمت جينا الآن، وكذلك سلمت انت. ولم يفت الوقت بعد لكي تغير ما حدث، يا كين، ليس عليك ان تبقى مقاطعاً لشقيقتك، إذ يمكننا ان ندخل جينا في اسرتنا، هذا إذا رأيت انت. انها تحب ذلك...»

«ليزا...» ونظر اليها رافضاً بشكل يائس، ثم ما لبث ان توقف وهو يمعن النظر في عينيها وكأنه يتساءل عما إذا كان هذا ممكناً... اذا كان معقولاً. «إنني اعرف شعورك بالنسبة إلى الاسرة، يا ليزا، ولكن جينا ليست شقيقة لي في الحقيقة، وبالتالي ليس مفروضاً عليك ان تستقبليها...»

«بل هي شقيقتك، يا كين. وذلك الرباط مازال موجوداً بالرغم من كل ما حدث، لانكما ترعرعتما سوياً، وبالنسبة إليّ لا مشكلة هناك بيني وبينها، صدقني انني وجدتها شخصاً غاية في الرقة.»

فعبس وكأنه لم يستطع حمل نفسه تماماً على تصديق ذلك، ثم ابتسم ساخراً:«جينا ايضاً تراك

شخصاً في غاية الرقة وقد احبتك كثيراً.»

قالت ليزا مازحة:«هذا لانك تزوجتني، ان جينا تظن ان اي امرأة يتزوجها شقيقها، تظنها جميلة، وإلا لما تزوجها، واياك ان تنتقد هذا المنطق، لانه يعجبني.»

خف توتره قليلاً، وبان الدفء في نظراته اليها:«ليس حكم جينا على الآخرين سيئاً كله، وذاك في الواقع قد اخذ يبدو افضل من حكمي انا، فأنا دوماً كنت ارى تريفور شخصاً سخيفاً مضحكاً، ولكنه ليس كذلك في الحقيقة.»

«لقد رأيته بالغ الرقة واللطف، وهو مناسب جداً لشقيقتك.»

اوماً قائلاً:«انه هكذا دوماً، كنت اظن...» وعبس، «كنت مخطئاً فهو لا بأس به.» وكان هذا ابلغ مديح يمكن ان يمنحه كين لرجل آخر.

ازداد عبوس كين وهو يقول:«معك حق، يا ليزا، فقد كانت جينا سعيدة لاننا سنرزق بطفل، ذلك انها لا يمكن ان ترزق باطفال، لقد كانت اصيبت بمرض جعلها عاقر.»

ألمها هذا الخبر في الصميم، وامتدت يدها بحركة لا شعورية الى بطنها تحمي جنينها، ما افظع الا تستطيع امرأة ان تنجب، وخصوصاً امرأة مثل جينا لديها طاقة كبرى للحب والعطاء...

ثم قالت بهدوء:«لا تدعهم يؤثرون عليك اكثر من ذلك، يا كين، فانهم لا يستحقون ان تتذكرهم، لا يستحقون ثانية اخرى من حياتك تنفقها على التفكير بهم.»

ثم نهضت عن الاريكة الجلدية وتقدمت الى حيث كان واقفاً، ورفعت بصرها اليه، ونظرت بنعومة المخمل، ثم قالت:«عندما طلبت مني ان اتزوجك، قلت لي ان حياتنا ستكون كما نصنعها نحن، فلنصنعها إذن كأحسن ما يمكن. وكذلك نصنعها لجينا ايضاً قدر امكاننا. يمكننا ان نشركها في طفلنا، يا كين، يمكننا ان نحاول على الاقل اليس كذلك؟»

كسا ملامحه الإعجاب والتقدير:«زواجي منك كان عملاً صائباً، يا ليزا، فأنت كل ما اريد وكل ما انا بحاجة إليه، وكونك بجانبي... يعني كل شيء بالنسبة إليّ.»

كانت ليزا تعلم انها لا تعني كل شيء بالنسبة الى كين، كما انها لا تزوده بكل ما يريد وما يحتاج إليه، ولكن ربما كان شعور كين الآن هو اقرب ما يكون الى الحب، وخفق قلبها بسعادة، ولم تشأ ان تفكر اكثر من ذلك، فقالت له:«دعنا الآن نرتاح وننتظر الغد المشرق.»

john lee

الفصل الحادي عشر

كانت ليزا قد ظنت، ذات يوم ان كين لا يمكن ان يتغير ابداً، فكان الزواج منه اخطر مغامرة قامت بها في حياتها ولكنها اثناء الاشهر الاخيرة من الحمل، اخذت تدرك وتقدر ان ما قادها إليه قلبها وفطنتها، بدلاً من عقلها، لم يكن خطأ قط، فقد كان كين ماريوت رجلاً عاقلاً طيب القلب. وفي الواقع كان جوهرة. كذلك ولكن انعزاله عن الناس كان مجرد حماية للنفس من ان يصل إليه احد بعد الآن.

ربما كان ما دفعه الى الزواج منها هو حاجته الى احد يشاركه عزلته تلك، فكان في اصرارها على عدم مقاطعة اسرتها هو اول بذرة تغيير في نفسه. ومقابلته لوالديها ارته ما ستكون عليه حياتهما إذا هو حاول جاهداً، وحقيقة حمل ليزا قد غرس بذرة تغيير ثانية، ما جعله يعيد ترتيب نظام الاولويات في نفسه. فحياة طفله اهم لديه من اي شيء آخر. واخيراً كان في اكتشافه تضحية جينا لاجله، تغيير آخر في نفسه.

اصبح مستقلاً في إصدار حكمه على الآخرين، واكثر استعداداً للاخذ بوجهة نظر سواه، وذلك الى درجة كبيرة، وكذلك تقدير الصفات الحسنة في الآخرين، بدلاً من الوقوف بمعزل عنهم، كما اخذت الحواجز

التي كان وضعها حول نفسها تنهار تدريجياً، ابتدأت صلته بالآخرين تتحسن، ليس مع ليزا فقط وإنما من اولئك القريبين منهما.

اصبحت علاقته بأسرتها طيبة خصوصاً بشقيقها الاقرب طوني، والذي غالباً ما يأتي لزيارتهما عندما يعود من رحلته في الطائرة عبر البحار. كما ان جينا وتريفور اصبحا زائرين مرغوباً بهما، يشاركانهما مناسبات غداء ايام الآحاد.

تملكت اسرة ليزا السعادة عندما علمت بمجيء الطفل، ولكن الحمل بالنسبة إليهم كان شيئاً طبيعياً يحدث عادة في الزواج. وكلما اقترب موعد الولادة، إزداد انتباه ليزا الى انه بالنسبة الى كين وجينا، كان حدثاً خطيراً، رأت ليزا انه يعني لهما الكثير، وكأن كل ما هو جميل في الحياة كان ممثلاً في الطفل الذي سيولد.

كان التفكير في الطفل يولد احياناً، الدفء في نفسها، واحياناً الإضطراب، لقد اخذ يقل شعورها بأنها انسان وليست مجرد عربة تنقل طفل كين، وخصوصاً اثناء الشهرين الاخيرين للحمل عندما ابتدأ كين يرعاها برفق زائد وكأنها إناء هش من البلور، ومع ذلك، لم تستطع منع نفسها من الشعور بأنها انحدرت الى المكان الثاني لديه.

ربما كان شعورها بأنها اصبحت ثقيلة متعبة وغير

جميلة، ما احدث لديها حالة من الاكتئاب، كانت تريد من كين ان يخبرها بأنه يحبها وانها هي التي احدثت في حياته كل ذلك التغيير، وليس الطفل الذي كانت على وشك ان تمنحه اياه. مضت اوقات كانت تشعر فيها بالغيرة من الطفل، وفي احيان كثيرة كان من الصعب عليها جداً الا تصرخ في وجه كين إزاء حرصه البالغ بالنسبة لما تعمل وسبب ما تعمله.

تمنت لو ينتهي حملها هذا، ولكنها كانت تخاف من ازدياد غيرتها عندما يصبح بوسع كين ان يحمل طفله بين ذراعيه منفصلاً عنها، وبقدر ما كان يحتاجها هي ويريدها بجانبه، إلا انها كانت تشعر بأنها لن تظفر ابداً بذلك الرباط نحو كين والذي سيربطه، بطبيعة الحال بابنه.

سيكون كين موجوداً لاجل ابنه، وذلك منذ البداية، بينما لم يحدث منه ذلك بالنسبة الى ليزا، فقد كان جزء كبير من حياتها مخالفاً لحياة كين، فبيئتهما لم تكن واحدة على الاطلاق، لقد كان ثمة جسر فوق الهوة من عدم التفاهم التي تفصل بينهما، ولكن مع ابنه لن تكون هناك هوة على الاطلاق، ذلك ان كين لن يسمح لذلك بأن يحدث.

حدثت ليزا نفسها بأن عليها ان تكون مسرورة لانه سيكون والداً جيداً، وكانت فعلاً مسرورة، ولكنها فقط كانت تتمنى ان كونها زوجته، يعني شيئاً اكثر بالنسبة اليه.

في الاسبوع الذي كان سيأتي فيه الطفل، كان ثمة بعض المشاكل في مشروع وينجيكامبل وكان كين في ملبورن، وشعرت ليزا بالضعف والإكتئاب، كان كين قد اصر عليها بأنها احست بأي من علامات الولادة، فعليها ان تتصل به على الفور، وكان هذا هو سبب الاكتئاب، فقد كانت تعرف مسبقاً ما ستكون عليه النتيجة، ذلك ان عمله هو اكثر اهمية من إمساكه بيدها، فإذا هو جاء فلاجل ابنه فقط، وليس لانها بحاجة الى وجوده بجانبها.

تكهنت بأن حياتها ستبقى نفس الشيء، كين سيكون اغلب الاوقات، بعيداً في مكان ما، يبني المشاريع التي قليل من الناس يقدرون على إنجازها، وهو سيكون رقيقاً ليناً معها وسيظهر كل حبه لابنه ولمن قد يجيء بعده من الابناء.

كان يتصل بها صباحاً ومساءً ليعرف ان كان حدث شيء، ولم يكن لها ان تشكو من عدم اهتمامه بها، رغم انها كانت تعلم ان اهتمامه ذاك انما هو بالطفل. زارتها جينا، وكذلك والدتها، واتصل بها كل من تعرفه ليطمئن عليها، وتمنت من كل قلبها ان يأتي الطفل لكي تخلص من كل هذا.

كان قد مضى على غياب كين اربعة ايام عندما ظهرت اولى بوادر الولادة، فاتصلت بالطبيبة التي نصحتها

بالذهاب الى المستشفى على الفور. ورغم ان ليزا لم تشعر بأي من الآلام إلا انها اخبرتها بأن ذلك سيبدأ حالاً، ادارت رقم هاتف كين لكي تخبره، معدة نفسها لخيبة الامل إذا وجدت انه مشغول في مكان آخر. حدثت نفسها بانه مفروض فيها ان تكون قوية، بحيث تتمكن من معالجة امرها دون سند من مشاعر زوجها، فالنساء تنجب على مدار الازمان من دون ان يكون رجالهن بجانبهن. وكون وجود الرجل بجانب زوجته في هذا الوقت هو نظام حديث في المجتمع، وهو غير ضروري. وبجانب هذا فقد رأى كين ما يكفي من الآلام، على كل حال، ومن الافضل ان يشاركها البهجة بعد ذلك، وهذا هو الشيء المعقول.

عدا عن هذا، فقد كانت ليزا تعي تماماً مبلغ الاهمية في ان تسير شركة كين الهندسية في مشروع وينجيكامبل بقدر ما يمكن من السهولة واليسر، ومعنى ذلك ان مستقبلهما رهن الاحداث، لم يكن يهمها ذلك بالنسبة إلى نفسها، ولكنها كانت تريد افضل فرص الحياة بالنسبة إلى اولادها، مثلها في ذلك مثل كين.

اجابت على اتصالها امرأة، وعندما طلبت ليزا ان تتحدث إلى كين، اخبروها انه في اجتماع هام، ولن يكون موجوداً قبل وقت طويل، فإذا احبت ان تترك خبراً...

سحبت ليزا نفساً عميقاً تغالب به دموعاً سخيفة على وشك الانهمار، ثم قالت:«اخبريه ان زوجته اتصلت و...»

فهتفت المرأة على الفور:«زوجته؟ آه، يا سيدة ماريوت، هل هو الطفل؟ اعني... آه، كم انا آسفة... لاننا كلنا نعرف ان السيد ماريوت ينتظر هاتفاً منك على احر من الجمر...آه، سأصلك به على الفور، فانتظري على الخط.»

لم تكن دهشة ليزا قد تلاشت بعد، وهي تعلم ان جميع الموظفين عنده يعلمون بهذا الوضع الشخصي الخاص، عندما جاءها صوته عبر الخط، متوتراً مستعجلاً:«ليزا؟ ماذا حدث؟ هل انت بخير؟»

«نعم، انا بخير تماماً، يا كين.»

وما كادت تخوض في الحديث عما حدث، حتى انفجر يقول:«سألحق بك إلى المستشفى في اسرع وقت ممكن. سأترك المكتب الآن يا ليزا.»

لم تصدق اذنيها:«ولكن ماذا عن الاجتماع يا كين؟ ستمضي ساعات وساعات قبل ان...»

قال بحزن:«انني قادم الآن، يا ليزا،ان كل شيء آخر يمكنه ان ينتظر.»

تحيرت ليزا وهي ترى ان وجوده معها الآن وفي هذا الوقت هو من اولوياته، ويبدو ان كل من عنده قد اخذ علماً بذلك ما عداها هي، ربما كانت معرفتها بذلك

هو امر مسلم به عنده. وهزت رأسها مفكرة، وهي تضع السماعة، حتى ولو كان الامر هو مجرد رغبة منه في ان يرى طفله بعد ولادته، الا انها شعرت لذلك بسعادة بالغة.

وعندما وصل كين الى المستشفى بعد ثلاث ساعات، شعرت وكأنها مخادعة، ذلك لان الممرضة نصحتها بأن تسير في اروقة المستشفى ذهاباً واياباً لكي تيسر من حدوث الولادة. وهناك وجدها كين.

وصل كالإعصار لشدة التوتر واللهفة، وعيناه تلمعان خوفاً:«ماذا تفعلين هنا خارج القسم؟» وكان على استعداد لانتقاد اي شخص واي شيء لكي يجعل الاشياء كما يجب بالنسبة إليها.

قالت مازحة:«اظن لا بد ان طفلنا كسول، وانا احاول بالسير هنا ان اشجعه على ذلك، بذلك نصحتني الممرضة.»

بدا الارتياح على وجه كين، وقال باسماً:«حسناً، ان رأيه صائب، على الاقل، إذ ينتظر قدوم والده، هل انت غير مرتاحة، يا ليزا؟»

فقالت تطمئنه، شاعرة بالسعادة:«كلا، مطلقاً.»

مرت ساعتان وابتدأت تشعر بأنه لن يحدث شيء ولكن كين كان رائعاً معها، فكان يحضر اليها الشاي، باقياً بجانبها.

مر وقت اطول وكان توتر كين يزداد مع مرور الوقت، وكان على ليزا ان تداوم على طمأنته بأن كل شيء على ما يرام.

عاينتها الطبيبة، ولكن النتيجة لم تبد لها واضحة مازاد في انزعاج كين.

مر المزيد من الساعات، ساعات من الخيبة والإرهاق وازدياد الفزع، وتدريبات المعهد لم تؤهل ليزا لاي شيء غير طبيعي في الولادة، وكان واضحاً ان ثمة شيئاً لا يسير كما يجب.

جاء اليها مزيد من الممرضات يشجعنها وينصحنها، ولكن جسدها لم يستطع ان يتجاوب مع كل ما كانت تستجيب إلى فعله من نصائح، وكان كين يبذل جهده في تهدئتها والتخفيف من مخاوفها، ولكن تمالكه هو لنفسه تشتت برداً عندما ابتدأ خفقان قلب الطفل يصبح غير منتظم. طلب العمل حالاً، وحصل عليه، إذ سرعان ما امتلأت الغرفة بالاطباء يراجعون رأيهم في حالتها، وعلى الفور وصلوا الى نتيجة هي ان عملية قيصرية يجب ان تجري للأم، ومادام الطفل في محنة شديدة، فالعملية يجب ان تجرى في اقرب وقت مستطاع.

كان على ليزا ان تخضع لتخدير عام، وكانت هي مستعدة للقبول بأي شيء يمكن ان ينقذ الطفل، فقد

كان شحوب وجه كين الهائل ينبىء عن مقدار ما لهذا من اهمية لديه.

سار كين بجانبها وهم يأخذونها على الكرسي ذي العجلات الى غرفة العمليات، ممسكاً بيدها بشدة وقد بدا العبوس عليه، كان في عينيه السوداوين توسل لعينيها لكي تطمئناه، دون ان تستطيع هي ذلك، كانت تشعر بالعجز، والفشل كامرأة، والفشل كزوجة له، فقد مرت الآن ست عشرة ساعة منذ دخلت المستشفى، وحياة طفلهما معرضة للخطر، وكان لدى ليزا شعور مخيف بأن منزلتها عند كين كانت هي ايضاً معرضة للخطر، فإذا ذهب الطفل... وإذا لم تستطع ان تنجب مزيداً من الاطفال... وإذا كانت هذه فرصتهما الوحيدة لحياة جديدة نظيفة كان يتصورها...

همست متوسلة بصوت أبح:«قل لي انك تحبني، يا كين.» كانت بحاجة ماسة الى ما يطمئنها الى انها مهمة بالنسبة إليه، بصرف النظر عما إذا كانا لن ينجبا اطفالاً.

«ليزا...» بدا عليه الذهول وهو يحدق اليها غير مصدق بأنها تفكر في مثل هذه الامور اثناء حالتها هذه.

ثم فات الوقت لكي يجيبها على ذلك. فقد طلبوا منه ان يقف جانباً، بينما دخلت ليزا الى غرفة العمليات، وكانت هي تفكر بيأس بأن ليس من المفروض ان تفشل العملية. اخذت الممرضة تثرثر معها عن

آخر فيلم رأته. اي موضوع سخيف تتحدث عنه؟ وما اهمية الافلام الآن، بينما الحياة الحقيقية التي تريدها كانت في خطر... الحياتان معاً، حياة طفلهما وحياتها مع كين.

ابن كين...

حياته وحياة جينا الجديدة النظيفة... هذا ليس عدلاً... ليس عدلاً على الاطلاق... اليس هناك بعض العودة إلى الحب؟ ثم إذا بالوعي يغيب، ولم تعد ليزا تشعر بشيء.

* * *

ظلام، ظلام في كل مكان، فهي لا تشعر بشيء ولا ترى شيئاً.

انني على قيد الحياة.

الطفل... ماذا عن الطفل؟ يبدو انها تناضل منذ مدة طويلة، طويلة. لم تكن تشعر بأي ألم. وببطء وتكاسل، فتحت عينيها للضوء وإذا بوجه كين يحوم فوق وجهها.

سألته والخوف يتملكها ويصعقها:«الطفل؟»

«الحمدالله انك بخير.» استرخت اساريره المتوترة وهو ينظر في عينيها باسماً.

اخذت ليزا تغالب مخاوفها البالغة، ما الذي حدث لطفلها؟ حاولت ان تسأل، ولكن لم يخرج من فمها صوت، لم تستطع ان تتكلم، لم تستطع ان تتنفس،

ورفعت يدها تتحسس عنقها، لا شيء، رأت رأس كين يندفع الى الخلف بعنف، وقد التوت ملامحه بقلق مخيف وهو يرى الصدمة تتملكها، فتجاهد في سبيل التنفس، وهي تسمع جرس الإنذار وصوت كين ينادي :«احضروا الطبيب.»

لم تستطع ان تتنفس... انها لا تستطيع... لا نفس هناك.

قال شخصاً ما:«تشنج في المريء.»

وضعت ممرضة لها قناعاً على وجهها، فأخذت ليزا تقاوم دون ان تفهم شيئاً، تطلب بيأس، الحرية في ان تتنفس، والقناع لا يسمح لها بذلك، واخذت تفكر، الآن سأموت.

اترى كين حصل على ابنه؟

كانت تريد ان تعلم، تريد ان تعرف ما إذا كانت خيّبت أمله... ولكنه لم تكن هناك طريقة تعرف بها ذلك، واغرورقت عيناها بالدموع، انها لا تعرف.

ومن مسافة بعيدة سمعت بشكل مبهم، صوتاً صارخاً:«انقذوا زوجتي.»

وشعرت بوخزة في ذراعها، كما ادخل عنوة شيء مربع في فمها، وساورها إحساس غريب بأنها تسبح في الهواء، سرعان ما محاه الظلام، والعدم.

«مازلت على قيد الحياة.»

اخذت ليزا تفكر في ذلك بدهشة. وفتحت عينيها للنور مرة اخرى، كانت في غرفة اخرى الآن هي في غرفة العناية الفائقة. وكين يراقبها بمشاعر تحترق، وعيناه فحمتان سوداوان متألقتان لا تطرفان، مركزتان عليها فقط. وشعرت بيديه تمسكان بيديها برقة ورفق. حاولت ان تبتسم له، ولكنها لم تفلح، فقد كان فمها جافاً تماماً.

كان كين يبدو اشعث الشعر منهكاً، وربطة عنقه محلولة، وكأنه اصيب بصدمة وكانت عيناه بركتين من الدم، وذقنه يكسوه ظل اسود كثيف، وكان مائلاً إلى الامام يحوم حولها.

كان غشاء من الدمع يزيد عينيه بريقاً، لماذا لا يخبرها عن الطفل؟ كان يبدو عليه التشتت، لا بد ان لديه خبراً سيئاً، لا يريد ان يطلعها عليه، لقد خيبت امله فيها.

همست واليأس يملأ قلبها:«أنا آسفة.»

«آه، ليزا...»بدا وكأن ما قالته قد ملأه عذاباً. «لشد ما انا بحاجة اليك، يا ليزا، احبك، لن اتوقف قط عن قولي لك انني احبك... احبك احبك.»

كان كين يهذي، يحاول تمالك نفسه، وتذكرت ليزا انها كانت سألته ان يخبرها بأنه يحبها وذلك قبل دخولها غرفة العمليات مباشرة، ولكن هذه الكلمات

لم تطمئنها الآن، لا تدري لماذا، ذلك ان السؤال المهم لم تسمع له جواباً:«طفلي...»

«عليك الا تقلقي، الا تتوتري، كوني هادئة فقط، كل شيء على ما يرام.» وكان يقول لها هذا، لاهثاً.

«اخبرني عن ...طفلي.»

ان معرفة الاسوأ كان افضل من عدم المعرفة على الاطلاق، الم يفهم بعد؟

واخيراً ادرك كين ان عليها ان تريح نفسها بالنسبة لهذا الامر الحيوي، فقال:«انني واثق من ان الطفل الصغير بأتم خير فلا تقلقي، يا ليزا، لا تقلقي لاي شيء.»

تملكها الارتياح مزيجاً بالامل، الى عدم الثقة، وهي تستوعب جواب كين.

سألته:«ما الذي تعنيه من (انك واثق من انه بخير) الا تعلم؟»

«حسناً، لقد وضعوه للتو في الانعاش للاطمئنان عليه، ولهذا تكهنت بأنه بخير. لم استطع ان اتركك.»

«كين.»

ساوره الفزع لصرختها هذه:«عليك ان تبقي هادئة يا ليزا.»

سحبت نفسين عميقين، ثم اخذت تتكلم بما امكنها من الهدوء، ولكن عينيها كانتا تتألقان بالحزم:«كين ماريوت، اذهب واستعلم على الفور عما حدث لطفلي.»

فقال بقلق:«ليزا...»

«على الفور.»

«سأستدعي ممرضة للجلوس معك.»

«على الفور.»

«يجب الا تبقي وحدك.»

«انني مستاءة جداً يا كين.»

«سأذهب على الفور.»

واسرع بالذهاب، ولكن الممرضة جاءت للجلوس بجانبها وعلى فمها ابتسامة متسامحة وكأنها تقوم بشيء لا ضرورة له على الاطلاق.

قالت ليزا بصوت متهدج:«انني بخير.»

فأجابت الممرضة:«نعم، يا عزيزتي.» بينما كانت تعطيها قطعة ثلج لتضعها في فمها. «ولكن عندما تكون في عيني زوجك تلك النظرة السوداء المجرمة، لا يكون من الحكمة ان يقال له (كلا).» التوت ابتسامتها قليلاً وهي تتابع قائلة:«اظنه لو كان فقدك، لانتهى العالم بالنسبة لكثيرين آخرين ايضاً، فهو... لم يتعود على ان يخبره احد بما عليه ان يفعل، اليس كذلك؟»

كانت الممرضة على صواب، فعندما يقرر كين شيئاً، فقد انتهى الامر، مازال في نفس كين الكثير من الاسود والابيض، رغم انه قد صار اكثر رقة ولينا، ولا شك ان ممرضات المستشفى لم يرين فيه كثيراً

من الرقة، «هل افسد كين اشياء هنا، وخالف بعض انظمة المستشفى؟»

اجابت الممرضة متنهدة باستسلام:«كلا، فهو لا يثق بأي احد للعناية بك، ولا ادري كيف جعلته يتركك، ذلك ان احداً لم يستطع ذلك.»

قالت ليزا وقد ادركت في النهاية ان هذا صحيح:«انه يحبني.» نعم، ان كين يحبها، ولكنه غير ماهر في التعبير عن حبه هذا، خاصة بالكلام، ولكن تصرفاته تحكي ما يملأه مجلدات عن حبه لها، وحاجته اليها، انها اكثر اهمية عنده من ابنهما.

قالت الممرضة :«انك لست مخطئة في هذا الامر، انه في الواقع لم يترك لاحد مجالاً للشك في هذا.»

واذا به يعود واسع الخطوات، وبدا لليزا انه لم يكد يغيب خمس دقائق، وعلى الفور اخذت عيناه تعيدان تقييم حالتها، ليتأكد من ان لا شيء حدث في غيابه، وبسرعة نهضت الممرضة من مكانها، لكي يعود كين فيحتله مرة اخرى بجانب ليزا.

«آه، انه بخير.»

هذا جواب آخر لا يشفي الغليل، فحملقت به باستياء، بعد كل ما عانته، تريد ان تعرف عن ابنها اكثر من هذا. هذا إلى انه من غير الممكن ان يكون كين قد اجرى فحصاً كافياً عن ابنهما في خمس دقائق فقط.

سألته:«اهذا كل ما عندك لتقوله؟»

فقال بسرعة يخفف عنها:«انه بخير تماماً، صدقيني انه بخير.»

ابتدأت ليزا تشك في انه لم يذهب لرؤية الطفل على الاطلاق، وانه يدعي ذلك فقط، او ربما سأل ممرضة عنه.

فقالت له:«صفه لي.»

«حسناً، ان له شعراً كثيراً شديد السواد.» وهذا ايضاً غير كافٍ، حيث ان شعرهما اسود هما الاثنين.

فأصرت على إعادة السؤال:«وبعد؟»

«وجلده احمر نوعاً ما.»

«انك لست ماهر في الوصف، يا كين.»

قال بشيء من العنف:«ورأسه غريب الشكل.»

«آه...»

قال بسرعة يفسر لها الامر:«لا تقلقي يا ليزا، فقد اخبروني انه سيعود الى طبيعته بظرف ايام قليلة. فهذا من تأثير الضغط. حيث انه بقي مدة طويلة في وضع الولادة قبل ان يولد.»

وكان هذا معقولاً، فرؤوس الاطفال لينة. فبان الارتياح على ليزا، وعادت تسأله:«وماذا بعد؟»

فهز كتفيه:«من الصعب رؤية التفاصيل، فهو في الحاضنة حيث يتصل به حوالي عشرين شريطاً.»

فتحركت هواجسها:«هل هو في خطر؟»

«كلا يا ليزا، لا خطر هناك، وانما هو تحت الرقابة فقط، كل اطفال العمليات القيصرية يوضعون في الحاضنات، لان سرعة الولادة تسبب هبوطاً في حرارة الجسم، ما يجعلها بحاجة الى بعض الوقت لكي تعتدل.»

«كم عليه ان يبقى هناك؟»

فقطب جبينه قائلاً:«عدة ساعات.»

«حسناً، انهم لا يحتاجون الى مكانه لاجل طفل آخر، ويكفي انهم نجحوا في إعادة نبضات قلبه الى حالتها الطبيعية، ولكن ليس ثمة ضرر من مداومة المراقبة.»

تصورت ليزا فجأة جمعاً من الاطباء والممرضات قد احتشدوا جميعاً حول ابن كين ماريوت خوفاً من تلك النظرة الاجرامية في عينيه إذا كفوا عن المراقبة، فقد كان كين ماريوت رجلاً ذا شخصية محسوسة اذا اقتضى الامر. ولكنه على كل حال، لا يمكن ان يكون في مكانين في وقت واحد. بينما قام بكل ما بوسعه لاجل ابنه، فقد اختار البقاء بقربها ليراقبها بنفسه.

قالت وفيض كبير من الحب له يغمر قلبها:«هل هناك شيء آخر.»

«انه مكتمل النمو وحواسه الخمسة مكتملة ايضاً.»

لم يكن لدى ليزا اي شك في مقدرة كين على التدقيق فقالت وابتسامة تلوح على شفتيها:«انك مينوس منك، يا كين ماريوت.»

قال بجد:«انا فعلاً كذلك، من دونك. ثم اياك ان تجعليني اخاف من الحياة مرة اخرى، يا ليزا. فقد جعلتني انظر مباشرة الى هوة مظلمة لا يمكنني مواجهتها.»

قالت برقة:«انا آسفة.» فقد كانت تعرف كل شيء عن تلك الهوة المظلمة، من دون كين...

اضاف هو باقتناع تام:«هذا لانني احبك.»

فقالت:«نعم.»

ان تصديقها له الآن لا يشوبه ظلال الشكوك، ذلك لانها ترى الحب في عينيه، في صوته.

همست وعقلها وقلبها تشملهما سعادة متماثلة:«وانا احبك ايضاً يا كين.»

* * *

كان وصف كين لطفله خاطئاً بأكمله، فهو لم يكن وليداً صغيراً على الاطلاق، وإنما كان طفلاً ممتلئاً منتفخ الوجنتين ذا عينين قاتمتي الزرقة اما رأسه فلم يكن غريب الشكل على الاطلاق، وكان مغطى بشعر جعد اسود رائع الجمال.

عندما اقتنع بأن الخطر زال عن ليزا كلياً، اخذ تحفظه نحو ابنه يزول تدريجياً، وابتدأ في اتخاذ دور الاب الفخور، وبعد عدة ايام اصبح الوليد الصغير يستحق ان يعتبره الشخص ابناً له، مادام لا يتدخل في صحة ليزا، والذي جعل ليزا تدرك، من وراء صراعها

ضد الموت، كم تعني بالنسبة الى كين، لقد اصبحت الحياة فجأة بالغة الحلاوة، وخصوصاً الآن بعد ان ايقنت من ان كين يحبها.

زارتها اسرتها في المستشفى وقدمت التهاني بالمولود الجديد. ولكن الزيارة الاكثر اهمية بالنسبة الى ليزا، كانت من جينا. فقد شعرت ليزا بالمحبة التي تدفقت من جينا تغمرها. ثم وهي تحتضن الطفل الذي لن تحصل عليه طوال حياتها، كانت الطريقة التي ضمته فيها، بالغة الرقة والحنان وكأن الطفل كان منبعاً لكل فرح وعجب وجمال، ثم قالت لليزا وهي تتنهد بسعادة:«انه جميل، يا ليزا.»

اشرق وجهها الجميل الرقيق بابتسامة مضيئة:«اظنني اتحسن، يا ليزا، فأنا لم اعد اخاف من الناس والازدحام مثل قبل، وانا اعدك بأن اكون عمة جيدة.»

قال كين:«بل الافضل.» ونظر الى شقيقته بعطف بالغ. فتملك ليزا الارتياح البالغ والشكران وهي ترى كل شيء على احسن حال. وإذ اخذت تنظر اليهم، هم الثلاثة، كين وجينا والطفل، شعرت بآلام الماضي قد تلاشت بالنسبة للجميع.

وبعد عدة ايام بدا المستقبل اكثر اشراقاً بعد ان اخذت تسأل كين عن مشروع وينجيكامبل. «اليس عليك ان تعود الى ملبورن.»

«كلا فلديّ جاك كونواي يهتم بكل شيء.»
قال ذلك وهو يعبث باصابع طفله بابتهاج، وهزت هي رأسها غير مصدقة:«لديك مديراً لشركة الدولية المختلطة. يؤدي العمل لاجلك؟»
فأومأ يجيبها:«انه رجل جيد، ويحسن الإدارة داخلاً وخارجاً، وهو لا يقوم بالتسويات حين لا ينبغي ذلك له.»
نظر اليها وعيناه تتألقان بالرضى:«لقد اريتني ان عليّ ان امنح الآخرين مزيداً من الفرص، يا ليزا. وقد قرر قبولها الاسبوع الماضي، وذلك قبل ان يعترض مجيء طفلنا كل شيء، بيوم واحد.»
«اصبح شريكاً لك؟» ولم تستطع ان تتصور جاك كونواي خارجاً في ساحة العمل، فهو بالنسبة اليها، مكانه خلف مكتب المدير المنفذ العالي المقام.
واجاب كين:«بكل تأكيد. فقد ابتدأ يتعب في الشركة الدولية المختلطة. وهذا عمل يحمل تحدياً جديداً بالنسبة إليه. ومشاركة حقيقية في الارباح، وبجانب ذلك لم يعد هناك مجازفات الآن.» نظر اليها بابتسامة كبيرة. «فهذا يمنحني وقتاً اكثر اقضيه معك ومع هذا الطفل الصغير.»
انهم اسرة الآن. وامتلأ قلب ليزا بالرضى والامتنان العميقين. فقط طمأنتها الطبيبة الى ان ليس ثمة سبباً يمنعها من انجاب مزيد من الاطفال. انما ذلك سيكون

بعملية قيصرية على الدوام. ولكن المشكلة التي حدثت لها هذه المرة لن تتكرر. ذلك انها كانت احدى القلائل من سيئات الحظ اللاتي لديهن حساسية قوية نحو العقار الذي استعملوه لها، والآن بعد ان عرفت حالتها وسجلت، في ملفات المستشفى فكل شيء في المستقبل سيحسب حسابه.
انها طبعاً لن تتحدث الى كين في ذلك الا بعد وقت طويل، فهو مازال في دوامة الخوف التي تملكته على حياتها، ولكن الزمن يشفي معظم الجراح، خصوصاً مع الحب الكثير.
عاد كين يقول:«نسيت ان اخبرك. لقد كنت في اجتماع مع جاك عندما اتصلت بي، فقال لي ان ابلغك اطيب تمنياته.»
هزت رأسها متأملة، ما اغرب الكيفية التي تجر بها الامور، اموراً اخرى.
نظر كين في عينيها وهو يقول برقة زائدة:«ان حياتنا ستكون سعيدة على الدوام، يا ليزا.»
فقالت بثقة وقد غمرتها السعادة:«نعم.»
«ذات يوم كنت عازماً على الا احتاج اي شخص في حياتي، وعندما عرفتك يا ليزا، رغبت فيك ولكنني بقيت احدث نفسي بأنني لا احتاجك، الى ان حانت تلك العطلة الاسبوعية التي اتصلت فيها بي قائلة

بأن خطوبتنا قد انتهت، وإذا بي فجأة، لا استطيع ان احتمل فكرة انني لن اراك مرة اخرى في حياتي ابداً.» تنفس بعمق ثم قال ساخراً من نفسه:

«انني لم اعالج ذلك الموقف بشكل جيد، اليس كذلك؟»

فقالت مازحة:«انك فعلت ذلك بطريقتك العدوانية المعتادة، وبقيت انا احدث نفسي بأنني كنت مجنونة اصبر على ذلك، ولكنني مسرورة لانني فعلت، يا كين، كل ما كنا بحاجة اليه هو وقت للتسوية.»

فهز رأسه:«ليس انت يا ليزا، بل انا، فقد غيرتني الى الافضل امام جينا، فليس في وسعي ابداً ان اماثلك في ما قمت به، وما منحتنيه، ولكنني سأبذل جهدي في منحك كل ما اقدر عليه وعلى الدوام.»

لقد كان يحاول وكانت هي تعرف ذلك، ومنذ وقت طويل. لقد تغير الآن كل شيء، فهي في المقام الاول بالنسبة اليه، والأسرة في المقام الثاني، اما العمل فهو في المقام الاخير، لقد تعلم كين ان اهم من كل شيء هو ان يحبها كما تحبه.

تـــــــــــمت
johnlee
liilas.com